قل فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر سلخ ربيع الآخر ١٣٣٠ هق - ٢٧ الربيع الاول ١٢٩١ ه ش ١٧ ابريل ١٩١٢ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١١٦ : ١١٧) إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً (١١٧ : ١١٨) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً (١١٨) لَعَنَهُ اللهُ ، وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (١١٩ : ١١٩) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ، وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ . وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١٢٠ : ١٢٠) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (١٢١ : ١٢١) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢٢ : ١٢٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا

بين الله لنا في الآية التي قبل هذه الآية أن جهنم هي مصير من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، وكلا هذين الامرين كان يكون في زمن الرسول ظاهراً جليا بمثل ما فعل طعمة من ترك صحبة النبي والمؤمنين ، وموالاة أعدائهم من المشركين ، كما يظهر ذلك في عصره وغير عصره في كل من بلغته دعوته وتبين له الهدى فيها فتركها وعادى أهلها ووالى أعداءهم ، فان مشاقة ما جاء به الرسول (ص) مشاقة له . ولكن وراء ذلك انواعا من الكفر والضلال لا يصدق على كل واحد منها انه مشاقة للرسول واتباع لغير سبيل المؤمنين ، كما بينا ذلك في تفسير تلك الآية وقلنا : ان كل صنف من اصناف الضالين يوليه الله ما تولى ويوجهه الى حيث توجه بكسبه واجتهاده لأن الله تعالى وكل امر النوع الانساني الى نفسه ، إلا ان يختص من شاء من الناس برحمة من لدنه . وبقي علينا ان نعرف ما يجوز ان يغفره الله تعالى للناس من أنواع ضلالهم وخطاياهم وما لا يغفره لهم البتة فان هذا مما يحتاج اليه في هذا المقام فبينه تعالى بقوله ﴿ إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وقد تقدم هذا النص بعينه في سياق آخر من هذه السورة ولم يمنع ذلك من إعادته هنا لان القرآن ليس قانونا ولا كتابا فنيا فيذكر المسألة مرة واحدة يرجع اليها حافظها عند ارادة العمل بها وانما هو كتاب هداية ومثاني يتلى لأجل الاعتبار والاستبصار تارة في الصلاة وتارة في غير الصلاة ، وانما ترجى الهداية والعبرة بإيراد المعاني التي يراد ايداعها

في النفوس في كل سياق يوجه النفوس اليها أو يعدّها ويهيؤها لقبولها ، وإنما يتم ذلك بتكرار المقاصد الاساسية من تلك المعاني ، ولا يمكن ان تتمكن دعوة عامة في النفوس الا بالتكرار ، ولذلك نرى أهل المذاهب الدينية والسياسية الذين عرفوا سنن الاجتماع وطبائع البشر واخلاقهم يكررون مقاصدهم في خطبهم ومقالاتهم التي ينشرونها في صحفهم وكتبهم ، بل قال بعض علماء الاجتماع : إن نشر التجار للإعلانات التي يمدحون بها سلعهم و بضائعهم ويدلون الناس على الاماكن التي تباع فيها هو عمل بهذه القاعدة فان الذهن اذا تكرر عليه مدح الشيء ولو من المتهم في مدحه لا بد ان يؤثر فيه ،

وقال الاستاذ الإمام تقدم صدر هذه الآية في هذه السورة وتتمتها هناك « ومن يشرك بالله فقد افترى إثما مبينا » وقد تقدمها هنالك إثبات ضلال أهل الكتاب وتحريفهم ودعوتهم الى الايمان بما أنزله الله على نبيه مصدقا لما معهم ، فقد بين لهم ان اتباع الرسول فيما جاء به والتسليم له درجات — فمنها ما تغلب النفوس على مخالفته نزوات الشهوة وثورات الغضب ثم يعود صاحبه ويتوب ، فهذا مما قد تناله المغفرة ، وأما التوحيد الذي هو اساس الدين فلا يغفر الميل عنه الى ضرب من ضروب الشرك . والآيات التي قبل هذه الآية تفيد ان السياق هنا كالسياق هناك فأعادها لذلك المقصد وهو بيان ان مشاقة الرسول ومخالفته انما تكون بالخروج عن التوحيد والوقوع في الشرك لان التوحيد روح الدين وقوامه ، فالمناسبة هنا تقتضي ان يعاد هذا المعنى ، وهي اعادة تنادي البلاغة بطلبها ولا تعدّ من التكرار الذي قالوا انه ينافي البلاغة ، فان هذا إنما يتحقق اذا كان المخاطبون قد فهموا منك معنى تمام الفهم كما تريد ثم ذكرته لهم بعبارة لا تزيدهم فائدة ولا تأثيرا جديدا ولا تمكينا للمعنى . وأما ما يفيد شيئا من هذا الذي ذكرناه فهو الذي تقتضيه البلاغة اه

أقول إن هذا يقال على تقدير كون القرآن يوجه الى كل فرد من افراد المكلفين وانهم جميعهم يسمعونه أو يتلونه كله ويتذكرون عند كل سياق ما يناسبه في غيره ، وإذا أنت تذكرت ان الله تعالى يعلم ان الامر لا يكون كذلك وانه ربما

يسمع ذلك السياق الذي جاءت هذه الآية فيه من لم يكن سمع ذلك السياق الذي جاءت فيه الاخرى سواء كان ذلك في الصلاة او غير الصلاة ، فانك تجزم بأنه لا محل لجعل هذه الآية من التكرار الذي يفرون منه ، لانه في هذه الحال يكون من قبيل ذكر الشاعر لمعنى من المعاني في قصيدتين يمدح في كل واحدة منهما رجلا غير الذي يمدحه في الأخرى . وعلى هذا لايتجه قول جمهور المفسرين الذين اطلعنا على كتبهم ان هذا التكرار للتأكيد — والتأكيد تكأتهم في تعليل كل تكرار — وإنما نقول هذا على تقدير كون التكرار المحض منتقدا ومخلا بالبلاغة وقد علمت انه ليس كذلك بل هو ركن البلاغة الركين الذي لا يبلغ المتكلم مراده من النفس بدونه

وأما معنى « ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » فهو ظاهر وتقدم في تفسير الآية السابقة ولا يصدنا ذلك أن نقول فيه شيئا هنا نرجو أن يكون مفيدا : أكد الله للناس أنه لايغفر لاحد شركه به ألبتة وانه قد يغفر لمن يشاء من المذنبين مادون الشرك من الذنوب فلا يعذبهم عليه ، وقد بينا في التفسير وفي بعض مباحث المنار أن عقاب الله تعالى للمذنبين هو أثر طبيعي لذنوبهم ، وما تحدثه من الصفات القبيحة في أنفسهم ، فكما ان السكر يحدث في البدن أمراضا يتعذب صاحبها بها في الدنيا يحدث هو وغيره من الشرور والخطايا امراضا في القلوب والارواح يتعذب بها صاحبها في الآخرة . وكما ان قوة البدن وصحة المزاج تغلب بعض جراثيم الامراض فلا يظهر لها تأثير مؤلم يعذب صاحبه كذلك قوة الروح بالتوحيد وصحة مزاجها بالايمان والفضائل تغلب بعض المعاصي التي قد يلم بها المؤمن بجهالة أو نسيان ثم يتوب منها من قريب . ولكن قوة البدن لاتدفع مايعرض للقلب فيقطع نياطه أو للدماغ فيتلفه، كذلك الشرك يشبه في إفساده للارواح مايصيب القلب أو الدماغ من سهم نافذ أو رصاصة قاتلة ، فلا مطمع في النجاة من العقاب عليه

ذلك بأن الشرك في نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فكل حق أو خير يقارنه لايقوى على اضعاف شروره ومفاسده . والعروج الى جوار الله تعالى بروح صاحبه ، فان روحه تكون في الآخرة على ما كانت في

الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه عز وجل والله لا يقبل الا ما كان خالصا له ، والمذنب قد يكون في إيمانه وسريرته خالصا لله عبداً له وحده فالعبد المملوك قد يعصي وقد يأبق فلا العصيان ولا الإباق يخرجانه عن كونه عبداً لسيد واحد ، ولسيده ان يعاقبه وان يعفو عنه ، ولا يغفر له أن يجعل نفسه عبداً لغيره لاقنا ولا مبعضا « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » بل هم يجهلون أن شركاءهم الذين استكبروا امتيازهم عليهم بعلم أو عمل غير معتاد كبعض الانبياء والاولياء والملوك ، كل هؤلاء عبيد أمثالهم لا ينبغي أن يكون لهم شركة ما في مقام العبادة لا بدعاء ولا نداء ، وكذلك ما استكبروا خلقه أو نفعه أو ضره كالكواكب والنار وبعض الانهار والحيوانات . « ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » « أولئك الذين يدعون » أي يدعونهم ويتوسلون بهم هم « يبتغون الى ربهم الوسيلة » التي تقربهم اليه زلفى وهي التوحيد والاخلاص والعمل الصالح « أيهم أقرب » أي أقربهم واعلاهم منزلة كالملائكة والمسيح يبتغي هذه الوسيلة اليه عز وجل « ويرجون رحمته ويخافون عذابه » وان اعرفهم به أشدهم خوفا منه ورجاء في فضله ورحمته . ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك كما قال عز وجل فتجد الملايين منهم يدعون المسيح ويوجهون كل عبادتهم اليه وحده تارة ، ويذكرون اسم الله مع اسمه تارة أخرى ، وتجد ملايين من دونهم يدعون وينادون من دون المسيح من الاولياء ، ويصمدون الى قبورهم أو الى الصور والتماثيل التي اتخذها قدماء المفتونين بهم تذكارا لهم ، وانني أكتب هذا في ضواحي مدينة (دهلي من أعظم مدن الهند) وأنا أرى أصنافا من هؤلاء المشركين يجولون أمامي في مصالحهم « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم » وانما هؤلاء المعبودات أو الاولياء ، وسائط بيننا وبينه وشفعاء « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ولكن الله تعالى لا يقبل العبادة الا خالصة لوجهه من كل شائبة « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار »

ومن الناس من يسمون انفسهم موحدين ، وهم يفعلون مثلما يفعل جميع المشركين، ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين ، فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة، وقد يسمونها توسلا وشفاعة ، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله او مع الله شركاء ، ولكن لا يأبون ان يسموهم أولياء وشفعاء ، وانما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الاسماء ، ولو لم يكن منهم الادعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، لكفى ذلك عبادة له هو وشركا بالله عز وجل ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » رواه ابو داود والترمذي وقال : حسن صحيح وفي رواية ضعيفة « الدعاء مخ العبادة » والاولى تفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء ، وهو حصر على سبيل المبالغة كأن ما عدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة اليه . وقد قالوا ان هذا الحديث من قبيل حديث « الحج عرفة » اي هو الركن الاهم الذي لا يعتد بغيره عند تركه ، ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في اكثر الآيات الواردة في ذلك وهي كثيرة جدا يعلم كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عباداتهم ان الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس ولا سيما عند الشدة ، وأن ما عدا الدعاء من العبادات في جميع الاديان فكله أوجله تعليمي تكليفي يفعل بالتكلف وبالقدوة وقد يكون في الغالب خاليا من الشعور الذي به يكون القول او العمل عبادة وهو الشعور بالسلطة الغيبية التي هي وراء الاسباب العادية . حتى إن الادعية التعليمية في جميع الاديان قد تكون خالية من معنى العبادة وروحها الذي ذكرناه سواء دعي بها الله وحده او دعي بها غيره معه ، ولا سيما الادعية الراتبة في الصلوات الموقوتة او في غير الصلوات ، فان الحافظ لها يحرك بها لسانه في الوقت المعين وقلبه مشغول بشيء آخر ، انما العبادة جد العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس ، عند وقوع الخطب ، وشدة الكرب ، والشعور بشدة الحاجة الى الشيء ، واستمداد

الوسائل اليه ، وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذي تسمعه من أصحاب الحاجات ، وذوي الكربات ، عند حدوث الملمات ، وفي هياكل العبادات ، وادى قبور الاموات ، ذلك الدعاء الخالص الذي يغشاه جلال الإخلاص ، ويمثل كل حرف من حروفه معنى الخشوع التام ، وناهيك بما يفجره هذا الخشوع ، من ينابيع الدموع ، ذلك الدعاء الذي يستغله سدنة الهياكل ، ويستدره خدمة المقابر ، ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان ، لأنه أشد اركان رياستهم على العوام ، ومنهم من يضن به ، لانه لا يرى للجمهور الجاهلين غنى عنه ، ولا يرى في حيز الامكان استبدال التوحيد به ، على ان الموحدين اعلى إخلاصا ، واشد حبا لله وخشوعا ، « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله » (١)

﴿ ومن يشرك بالله ﴾ اي ومن يشرك بالله أحدا أو شيئا فيدعوه معه ، ويذكر اسمه مع اسمه ، أو يدعوه من دونه ، ملاحظا في دعائه انه يقربه اليه زلفى ، او غير ملاحظ ذلك ولا متذكر له ، وان كان بحيث لو ذكر به لذكره ، وهذا النوع من الشرك في العبادة الذي يتجلى في الدعاء هو أقواها لأن الاعتقاد فيه يكون وجدانيا حاكما على النفس مستعبدا لها ، ودونه الشرك المبني على الفكر والنظر الذي يحاجك صاحبه بالشبهات المشهورة المنتزعة من تشبيه الخالق بالمخلوقين ، وقياسه على الملوك الظالمين ، كقولهم : ان الإنسان المذنب الخاطئ والضعيف المقصر ، لايليق به ان يخاطب الإله العظيم كفاحا ، ولا ان يدعوه مباشرة ، بل عليه ان يتخذ له وليا يكون واسطة بينه وبينه ، كما يتخذ آحاد الرعية الوسائط الى الملوك والامراء من المقربين اليهم ، وقد يكون صاحب هذه العقيدة النظرية مقلدا فيها بالرأي والقول ـ الذي يسميه حجة ودليلا ـ سليم الوجدان من تأثيرها لعدم التقليد فيها بتكرار العمل فهو لا يلابسه الا قليلا ، وكذلك من يشرك في ربوبية الله تعالى باتخاذ بعض المخلوقين شارعين يحلون له ما يرون تحليله ويحرمون عليه ما يرون تحريمه ، فيتبعهم في ذلك ـ من يشرك بالله اي نوع

(١) راجع تفسير هذه الآية وما بعدها في الجزء الثاني من التفسير.

من انواع الشرك ﴿ فقد ضل ﴾ عن القصد وتنكب سبيل الرشد ، ﴿ ضلالا بعيدا ﴾ عن صراط الهداية ، موغلا في مهامه الغواية ، لانه ضلال يفسد العقل ويدسي النفس ، فيخضع صاحبه ويستخذي لعبد مثله ، ويخشع ويضرع أمام مخلوق يحا كيه أو يزيد عليه في عجزه ، فيطيع من لا يطاع ، و يرجو ولا موضع للرجاء ، ويخاف ولا موطن للخوف ، و يكون عبدا للاوهام ، عرضة للخرافات ، لا استقلال لعقله في ادراكه ، ولا لإرادته في عمله ، بل يكون عقله ورأيه وإرادته في تصرف بعض المخلوقات التي لا تملك له ولا لأنفسها نفعا ولا ضرا ، ولا هداية ولا غواية « قل اني لا املك لكم ضرا » ولا نفعا ، ولا غواية « ولا رشدا ، قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ، الا بلاغا من الله ورسالاته » فهذا أعلى وأعظم ما أعطاه الله تعالى للمصطفين الاخيار من عباده ، وميزهم به على سائر عباده ، وهو تبليغ رسالته ، والدعوة الى دينه ، من غير ان يكونوا مسيطرين ولا جبارين ، ولا آلهة أو اربابا معبودين ، « قل إنما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »

فعلم من هذا ومما بيناه من قبل في مثل هذا البحث ان سبب عدم مغفرة الله للشرك مع جواز غفران غيره يؤخذ من قاعدتين (إحداهما) إن الجزاء في الآخرة هو بسلامة الارواح وسعادتها اوهلاكها وشقاوتها ، هو تابع لما تكون عليه في الدنيا من سلامة الفطرة وصحة العقيدة ، ودرجة الفضيلة التي يلازمها فعل الخيرات ، وعمل الصالحات ، أو فساد الفطرة ، وخطأ العقيدة ، والتدنس بالرذيلة ، (الثانية) ان لما يكون الناس عليه من الامرين درجات ودركات ، اسفلها وأخسها الشرك ، وأعلاها كمال التوحيد ، ولكل منهما صفات وأعمال تناسبها ، فلوجاز ان يغفر الشرك فتكون روح صاحبه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، تجول مع الملائكة المقربين في عليين ، لكان ذلك نقضا أو تبديلا لسنة الله تعالى في خلق الناس التي ترتب عليها أن يكون منهم شقي وسعيد ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، بعضهم فوق بعض بطبعه وصفاته الروحية كما يكون الاخف من الغازات والمائعات فوق الاثقل بطبعه ، سنة الله التي لا تبديل لها ولا تغيير

ثم بين تعالى بعض أحوال المشركين فقال ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا ﴾ اي إنهم لا يدعون من دون الله لقضاء حاجهم وتفريج كروبهم ، إلا اناثا كاللات والعزى ومناة ، وكان لكل قبيلة صنم يسمونه انثى بني فلان ، او المراد اسماء معبودات وآلهة ليس لها من حقيقة معنى الالوهية شيء كما قال في سورة أخرى « ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » اي اسماء مؤنثة في الغالب ، او المراد معبودات ضعيفة او عاجزة كالاناث لا تدافع عدوا ولا تدرك ثأرا . كما وصفها في موضع آخر بأنها لا تملك لهم ضرا ولا نفعا ، وكانت العرب تصف الضعيف بالأنوثة لما ذكرنا من ضعف المرأة بل ضعف جميع إناث الحيوان عن الذكور حتى قالوا للحديد اللين أنيث ، ورجح الراغب وغيره ان وجه تسمية معبوداتهم إناثا هو كونها جمادات منفعلة لا فعل لها كالحيوان الذي هو فاعل منفعل كما وصفت في غير هذا الموضع بكونها لا تسمع ولا تبصر وليس لها ايد تبطش بها ولا أرجل تمشي بها . كأنه يذكرهم بهذا النوع من الادلة على بطلان ألوهيتها بما ارتكبوه من العار والخزي بعبادة ما كان هذا وصفه . وقد استبعد الاستاذ الامام تفسير الاناث بالاصنام المذكورة كما استبعد تفسيره بالملائكة لانهم سموهم بنات الله ، وقال إن كثيرا من المفسرين قالوا ان المراد بالاناث هنا الموتى لان العرب تطلق عليهم لفظ الاناث لضعفهم او يقال لعجزهم — ومع ذلك كانوا يعظمون بعض الموتى ويدعونها كما يفعل ذلك كثير من اهل الكتاب ومسلمي هذه القرون . وهذا هو الذي اختاره الاستاذ : وقال ان المراد بالدعاء ذلك التوجه المخصوص بطلب المعونة لهيبة غيبية لا يعقل الانسان معناها

﴿ وان يدعون الا شيطانا مريدا ﴾ اي ومايدعون بدعوتها الاشيطانا مريدا ، قالوا الشيطان يطلق على العارم(١) الخبيث من الجن والانس. والمريد والمارد المتعري

(١) العارم الفاسد والمؤذي والشرس

من الخمرات من قولهم شجر أمرد اذا تعرى من الورق ومنه رملة مرداء لم تنبت شيئا .
او هو من مرد على الشيء اذا مرن عليه حتى صار يأتيه بغير تكلف ومنه قوله تعالى
« ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » اي شيطانا مرد على الاغواء والإضلال .
او تمرد واستكبر عن الطاعة ثم وصفه وصفا آخر فقال ﴿ لعنه الله ﴾ واللعن عبارة
عن الطرد والابعاد مع السخط والاهانة والخزي ، اي أبعده الله عن مواقع فضله
وتوفيقه وموجبات رحمته . اي انهم ما يدعون الا ذلك الشيطان المريد الملعون
الذي هو داعية الباطل والشر في نفس الانسان بما يوسوس في صدره ويمده
و يمنيه كما بينه قوله تعالى ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ﴾ الخ النصيب
الحصة والسهم من الشيء وهو ليس نصا في قلة ولا كثرة وقد يتبادر منه القلة ،
والمفروض المعين وأصله من الفرض والحز في الخشبة كما بيناه في اوائل السورة ومنه
الفرض في العطاء . يحتمل ان يكون هذا النصيب طائفة الذين يضلهم ويغويهم
و يزين لهم الشرك والمعاصي ، وان يكون حظه من نفس كل فرد من افراد الناس
وهو الاستعداد الفطري للباطل والشر المقابل للاستعداد الفطري للحق والخير وهو
المختار . قال الاستاذ الامام : النصيب المفروض هو ما للشيطان في نفس كل أحد
من الاستعداد للشر الذي هو احد النجدين في قوله تعالى « وهديناه النجدين »
فهذا هو عون الشيطان على الانسان ، وهو عام في الناس حتى المعصومين ، ولكن
اخبرنا الله تعالى انه ليس له سلطان على عباده المخلصين ، فاذا هو زين لهم شيئا
لا يغلبهم على عمله ، فما من إنسان الا ويشعر من نفسه بوسوسة الشيطان فان لم
يكن بالشرك فبالمعصية والاصرار عليها او الرياء في العبادة اه اقول وقد ورد في
القرآن والحديث الصحيح ما يؤيد هذا وسنذكره ان شاء الله تعالى في موضع آخر
من التفسير

وهذا القول وأمثاله في القرآن المجيد في مخاطبة ابليس مع الباري جل وعلا
هو من الاقوال التكوينية اي التي يعبر بها عن تكوين العالم وما خلقه الله عليه كقوله
تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها

قالتا أتينا طائعين » فقوله تعالى هذا للسماء والأرض قول تكويني لا تكليفي فهو من قبيل قوله للشيء « كن فيكون» وقولهما « أتينا طائعين» تكويني ايضا فهو عبارة عن كونهما وجدتا كما اراد الله تعالى ان توجدا عليه كما يجيب العبد العاقل نداء مولاه . والمعنى ان الشيطان خلق هكذا فدعاؤه دعاء متمرد على الحق بعيد عن الخير مغرى باغواء البشر وإضلالهم كما عبر عن طبعه وسجيته بصيغة القسم

﴿ ولأضلنهم ولأمنينهم ﴾ اي لا تخذن منهم نصيبا ولأضلنهم عن الحق ولاشغلنهم بالأماني الباطلة ، اي هذا شأنه ومقتضى طبعه ، والاماني جمع أمنية قال الراغب وهي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء . يقال تمنى الشيء اذا احب ان يكون له وان لم يتخذ له اسبابه كما يتمنى المقامر الثروة بالمقامرة وهي ليست سببا طبيعيا للغنى بل ليست من الكسب المعتاد . والمعنى الاصلي لهذه المادة التقدير ، يقال منى لك الماني اي قدر لك المقدر ، والمصدر المنى بالفتح . قال الراغب ومنه المنا الذي يوزن به فيا قيل . واقول الأجدر بهذا ان يكون هو الاصل على المذهب المعروف في كون الاشياء الجامدة والمدركة بالحواس هي أصل للاشياء المعنوية : والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها ، وقد يكون عن تخمين وظن ، وقد يكون عن روية وبناء على أصل ، ولما كان اكثره عن تخمين صار الكذب له أملك ، فأكثره تصور ما لا حقيقة له كما قال الراغب .

وقال الاستاذ الامام إن اضلاله لمن يضلهم هو عبارة عن صرفهم عن العقائد الصحيحة بمعنى انه يشغلهم عن الدلائل الموصلة الى الحق والهدى . وأما التمنية فهي في الاعمال بأن يزين لهم الاستعجال باللذات الحاضرة والتسويف بالتوبة وبالعمل الصالح . بل هذا اسم جامع لانواع وحي الشيطان كلها وتغريره للناس بعفو الله ورحمته ومغفرته

﴿ ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ﴾ البتك يقارب البت في معناه العام الذي هو القطع والفصل فالبت يقال في قطع الحبل والوصل من الحسيات ، وفي الطلاق يقال طلقها بتة أي طلاقا بائنا . والبتك يقال في قطع الاعضاء والشعر ونتف الريش .

و بتكت الشعر تناولت بتكة منه وهي بالكسر القطعة المنجذبة جمعها بتك قال الشاعر « طارت وفي يده من ريشها بتك » والمراد به ما كانوا يفعلونه من قطع آذان بعض الانعام لاصنامهم كالبحائر التي كانوا يقطعون أو يشقون آذانها شقا واسعا ويتركون الحمل عليها . وكان هذا من اسخف أعمالهم الوثنية وسفه عقولهم قال الأستاذ الأمام ولهذا خصه بالذكر وان كان داخلا فيما قبله

﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ تغيير خلق الله وسوء التصرف فيه عام يشمل التغيير الحسيّ كالخصاء وقد رووا تفسيره بالخصاء عن ابن عباس وأنس بن مالك وغيرهما ، فليعتبر به من يطعنون في الاسلام نفسه باتخاذ ملوك المسلمين وأمرائهم للخصيان و يظنون ان خصيهم جائز في هذا الدين ، ويشمل سائر انواع التشويه والتمثيل بالناس الذي حرمه الشرع ، واذا كان قد حرم تبتيك آذان الانعام فكيف لايحرم سمل أعين الناس وصلم آذانهم وجدع أنوفهم وما أشبه ذلك مما كان يفعله بعض الملوك والامراء الظالمين بغير حق ولا حجة - و يشمل التغيير المعنوي وقد روي عن ابن عباس وغيره ان المراد هنا بخلق الله دينه لانه دين الفطرة وهي الخلقة ، قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » وروي ايضا تفسير تغيير خلق الله بوشم الابدان ووشر الاسنان وكل منهما يقصد به الزينة وفي الحديث « لعن الله الواشمة والمستوشمة » ولعل سبب التشديد فيه افراطهم فيه حتى يصل الى درجة التشويه بجعل معظم البدن ولا سيما الظاهر منه كالوجه واليدين ازرق بهذا النقش القبيح وكان الناس ولا يزالون يجعلون منه صورا للمعبودات وغيرها كما يرسم النصارى به الصليب على ايديهم وصدورهم . وأما وشر الاسنان بتحديدها واخذ قليل من طولها اذا كانت فلا يظهر فيه معنى التغيير المشوه بل هو الى تقليم الاظافر وتقصير الشعر أقرب ، ولولا ان الشعر والاظافر تطول دائما ولا تطول الاسنان لما كان ثم فرق . وجملة القول ان التغيير الصوري الذي يجدر بالذم و يعد من اغراء الشيطان هو ما كان فيه تشويه والا لما كان من السنة الختان والخضاب وتقليم الاظافر

الاستاذ الامام : جرى قليل من المفسرين على ان المراد بتغيير خلق الله تغيير

دينه وذهب بعضهم الى انه التغيير الحسي و بعضهم الى انه التغيير المعنوي و بعضهم الى مايشملهما ، وقال كثير منهم ان المراد تغيير الفطرة الانسانية بتحويل النفس عما فطرت عليه من الميل الى النظر والاستدلال وطلب الحق وتربيتها على الاباطيل والرذائل والمنكرات ، فالله سبحانه قد احسن كل شيء خلقه وهؤلاء يفسدون ماخلق و يطمسون عقول الناس اه

أقول ان هذا القول هو بمعنى القول بأن المراد تغيير الدين لان من قالوا انه تغيير الدين استدلوا بآية « فأقم وجهك للدين » كما ذكرنا ذلك آنفا والدين الفطري الذي هو من خلق الله وآثار قدرته ليس هو مجموع الاحكام التي جاء بها الرسل عليهم السلام فان هذه الاحكام من كلام الله الذي أوحاه اليهم ليبلغوه و يبينوه للناس ، لا مما خلقه في انفس الناس وفطرهم عليه وقد بينا الدين الفطري في غير هذا الموضع ومعنى كون الاسلام دين الفطرة ، وحديث « كل مولود يولد على الفطرة » وقد أشار الاستاذ الامام الى ذلك بما نقلناه عنه آنفا من كون الانسان فطر على طلب الحق والاستدلال والاخذ بما يظهر له بالدليل انه الحق أو الخير ان لم يكن ظاهرا بالبداهة ، ومن أصول الدين وأسسه الفطرية العبودية للسلطة الغيبية التي تنتهي اليها الاسباب ونقف دون اكتناه حقيقتها العقول أي لمصدر هذه السلطة والتصرف في الكائنات كلها وهو الله عز وجل ، وكان أكبر وأشد مفسدات الفطرة حصر تلك السلطة العليا في بعض المخلوقات التي يستكبرها الانسان و يعيا في فهم حقيقتها بادي الرأي وان كان في فهمها وعلمها ممكنا في نفسه لوجاء طالبه من طريقه وهذا هو أصل الشرك وقد بيناه آنفا في تفسير « ان الله لا يغفر ان يشرك به » وفي مواضع أخرى . و يتلو هذا الفساد والافساد التقليد الذي يمده و يؤيده و يحول بين العقول التي كمل الله بها فطرة البشر و بين عملها الذي خلقت لأجله وهو النظر والاستدلال لاجل التوصل الى معرفة الحق والخير وترجيح الحق والخير متى تبينا له على مايقابلهما

﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ أي من يتخذ الشيطان وليا له وتلك حاله في التمرد والبعد من أسباب رحمة الله وفضله واغوائه

للناس وتزيينه لهم الشرور وسوء التصرف في فطرة الله وتشويه خلقه ، بأن يواليه ويتبع وسوسته فقد خسر خسرانا بينا ظاهرا في معاشه ومعاده اذ يكون اسير الاوهام والخرافات يتخبط في عمله على غير هدى فيفوته الانتفاع التام بما وهبه الله من العقل وسائر القوى والمواهب

﴿ يعدهم ويمنيهم ﴾ قال تعالى في سورة البقرة « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » اي يعد الناس الفقر اذا هم أنفقوا شيئا من اموالهم في سبيل الله . وههنا حذف مفعول الوعد فهو يشمل الوعد بالفقر ويشمل غيره من وعوده التي يوسوس بها فانه اذا كان يعد من يريد التصدق الفقر ويوسوس اليه قائلا إن ما لك ينفد او يقل فتكون فقيرا ذليلا ، فانه يسلك في الوسوسة الى من يغريه بالقمار مسلكا آخر فيعده الغنى والثروة ، وكذلك يعد من يغريه بالتعصب لمذهبه وايذاء مخالفه فيه من أهل دينه الجاه والشهرة وبعد الصيت ، ويؤيد وعوده الباطلة بالأماني الباطلة يلقيها اليه ولهذا أعاد ذكر الامنية في مقام بيان خسران من يتخذ الشيطان وليا بعد ان ذكر عن لسان الشيطان قوله « ولأمنينهم » ويدخل في وعد الشيطان وتمنيته ما يكون من اوليائه من الانس وهم قرناء السوء الذين يزينون للناس الضلال والمعاصي ويعدونهم بالمال والجاه ، ويعدونهم في الطغيان ،

قال الاستاذ الامام لولا وعود الشيطان لما عني اولياؤه بنشر مذاهبهم الفاسدة وآرائهم وأضاليلهم ، التي يبتغون بها الرفعة والجاه والمال ، وهؤلاء موجودون في كل زمان ويعرفون بمقاصدهم ، وقد دل على هذا ما قبله ولكنه ذكره ليصل به قوله ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ اي الا باطلا يغترون به ولا يملكون منه ما يحبون . واقول فسر بعضهم الغرور بأنه اظهار النفع فيما هو ضار اي في الحال او المآل كشرب الخمر والقمار والزنا وغير ذلك

﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾ اي اولئك الذين يعبث بهم الشيطان بوسوسته او باغواء دعاة الباطل والشر من اوليائه مأواهم جهنم لا يجدون

معدلا عنها يفرون اليه لأنهم منجذبون اليها بطبعهم يتهافتون فيها بأنفسهم ، كما يتهافت الفراش في النار

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ هؤلاء عباد الله الذين ليس للشيطان ولا لأوليائه عليهم من سبيل ذكرهم في مقابلة أولئك الذين يتولون الشيطان ويتبعون اغواءه على سنة القرآن في قرن الوعد بالوعيد ، ﴿ وعدالله حقا ومن اصدق من الله قيلا ﴾ أي لاقيل اصدق من قيله ولا وعد احق من وعده لانه هو القادر على ان يعطي كل ماوعد به ، واما الشيطان فهو عاجز عن الوفاء على أنه لايطلع لقدرته وانما يدلي اولياءه بغرور ، فوعده باطل وقوله كذب وزور والقيل بوزن الفعل قلبت واوه ياء لكسر ما قبلها

وقد جعل الله تعالى وعده الكريم بالجنات والخلود في النعيم لمن يؤمن به لا يشرك به شيئا ، ويعمل الصالحات التي تغذي الايمان وترفع النفس ، وتقدم مثل هذا مرارا

(تنبيهات) وقع غلط في اعداد آيات بعض الأجزاء السابقة ولذلك لم تلتئم مع اعداد الآية المنشورة في هذا الجزء بعد أن أصلحت فيه على ان الأمر سهل ذلك ان عدد كل آية لا يبعد كثيرا عن الصواب بل ربما كان الخطأ بعدد واحد .

وضعت في السطر الرابع من الصحيفة الاولى من الجزء السابع كلمة (اصلاح) على غير رسم المصحف غلطا وصوابها ان ترسم على ذلك الرسم هكذا (اصلح) فليتنبه لذلك

لم ينشر في هذا الجزء شيء من الفتاوى لان السيد الاستاذ منشئ المنار نسي عند سفره الى الهند ان يأخذ معه الاسئلة الواردة الى الادارة ليكتب اجوبتها اثناء السفر

صالح رضا

اخبار العالم الاسلامي

﴿ المقالة الثانية من المقالات الروسية عن تركستان ﴾

تلك ترجمة المقالة الاولى من مقالات سياسة عدم الالتفات التي تنشر في جريدة نوفي فريمية لحث الحكومة الروسية على مقاومة تعليم مسلمي تركستان ، وأما المقالة الثانية فملخصها ان مدارس التتر لم يقبل عليها مسلمو تركستان في أول الامر وبعد ثباتها عشر سنين نالت محبة قسم كبير منهم ، وتألفت في مدينة طاشقند لجنة غير رسمية من المسلمين لادارة تلك المدارس ، وأخذت تبث سلطتها ، وعمال الحكومة الروسية لم يلتفتوا الى ذلك وهو بمثابة نظارة معارف غير رسمية تمهد طرق التعليم وتستحضر له الكتب والمعلمين وقصدها نشر مذاهب (الجامعة الاسلامية) في تركستان فهي لذلك توجه نظر الشبان الى العالم الاسلامي ولاسيا تركية ، وكتب الدراسة تعين على ذلك ، ففي كتب المطالعة مسائل في المملكة التركية وبلادها المشهورة ، ومثلها في دروس التاريخ والجغرافية . والمعلمون على هذا الرأي وهم من تتر قزان وأورنبوغ ينفخون روح الاسلام الذي أخذ ينهض من جديد ، ويلبسون الطرابيش التركية الحمراء ليكونوا ذوي مهابة في أعين تلاميذهم ، وهم من أصحاب المدنية ، وقد بلغت هذه المدارس بجدهم في طاشقند وحدها عشرين مدرسة قبل أنتباه الحكومة ، وكذلك كان في خوقند زهاء هذا القدر من المدارس قبل تنبه الحكومة

بعد تنبه عمال الحكومة تحيروا ولم يقوموا بالواجب وهو منع معلمي التتر من تعليم مسلمي تركستان ، وبضعفهم تمكنت تلك اللجنة غير الرسمية للمعارف أن ترسل بعض تلاميذها النجباء الى الآستانة ليستعدوا لخدمة بلادهم اذا رجعوا اليها ، فسيوجد مدارس في تركستان للترك فوق مدارس التتر قبل أن يستقر رأي عمال الحكومة هناك على أمر ويخرجوا من مضيق حيرتهم

انهم مترددون فيما يعاملون به تلك المدارس يقولون : أنعدها دينية كأنها ذات رخصة ؟ أم خصوصية فتنفذ فيها نظام المكاتب الخصوصية ؟ أم نقفلها البتة ؟ أم الاسهل

أن نستمر على التغافل عنها ؟ . ومن العجائب ان (شيور غيفسكي) معاون نظارة المعارف لم يدخل تلك المدارس عند تجواله في تركستان لئلا يكون دخوله اعترافا بها واقرارا لها فاذا كان رجال الحكومة متحيرين لا يدرون أي التربية يختارون لنابتة تركستان وهي مسألة من أهم المسائل فلا عجب اذا انتشرت فكرة الجامعة الاسلامية في هذه النابتة . نحن متحيرون حقيقة وأما غيرنا الذين لا يحبون أن يندغموا في الشعب الروسي اندغاماً يفنى فيه الضعيف في القوي فتضيع قوميتهم فهم يعرفون ماذا يعملون

المستنيرون من التتر قد أظهروا في الميدان برنامجا للتعليم يدافع عنه حزب المسلمين في الدوما (مجلس النواب الروسي) وقد أخذوا يهتمون بمسلمي تركستان . فيظهر أنهم يريدون جذب مسلمي روسية كافة اليهم ثم ينشرون فكرة الجامعة الاسلامية والجامعة التركية بينهم ، لذلك يريدون توحيد المسلمين كافة باللغة التركية العامة ، ويعرف مقدار اهتمامهم بما ذكر من عناية جناب مقصودوف رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) (١) بالسفر الى تركستان والطواف في بلادها لرؤية فرقه الذين تأنف منهم قوته الحربية في المستقبل ، نعم ان مقصودوف لم يرجع منها بفوائد كثيرة وربما قل طمعه في الرياسة السياسية القريبة على مسلمي تركستان ولكن لاشك في نيله بعض مطالبه من ذلك السفر ، مثال ذلك انه لم يمض زمن طويل على سياحة رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) حتى جاء من أهالي طاشقند كتاب احتجاج على نظام نظارة المعارف الحديث لمدارس المسلمين وأرسله ليقدمه الى الدوما ، وهو كتاب بيان حقوق مسلمي تركستان ، ولاشك في أن ذلك من تأثير سياحته ، ومقتبس مما قاله حزب المسلمين في الدوما ولم يسبق لمسلمي تركستان مثل هذه الحركة

سياحة مقصودوف هذه ليست في نفسها أمرا مهما ولكن اطلاق حرية السياحة للذين يلقون فكرة الجامعة الاسلامية ويغرون المسلمين بها لا يمكن أن يكون مما يرغب فيه رجال الحكومة ومع هذا نقول آسفين أنه قد كثر الجوالون في تركستان أخيرا لاجل بث الافكار السياسية في المسلمين . والسائحون في آسية الوسطى ليسوا من التتر فقط بل يجول فيها كثير من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومراقبة هؤلاء لا ترجى من عمال الحكومة ، المشغولين بوظائفهم ، فانك يتعرفون اولا الى سراة قوم ثم يمشون الهوينا الى مقصدهم على خطة منتظمة . يرونهم ان تركية مملكة عظيمة

(١) لعل صاحب الجريدة يشير بعلامة الاستفهام الى أن مقصودوف ليس رئيس حزب المسلمين

قوية وبخبرونهم بأنها ستستولي على البلاد الاسلامية من البحر الاسود الى بلاد الصين وتأخذها من الروس فتصير تركستان تحت حكم تركية وكلهم اخوان في الدين وبهذه الوسيلة يجمعون الاعانات للاسطول . ولا ريب في أن فكرة الجامعة الاسلامية قد انتشرت بين كثير من المستنيرين في تركستان

العلوم والمعارف في تركستان ضئيلة جداً ومع ذلك ترى "قراء يشتركون في الجرائد التركية وخصوصاً التي تتكلم في الاتحاد الاسلامي مثل «صراط مستقيم» و« تعارف مسلمين »

أهالي تركستان مولعون جداً بنشر الاخبار بينهم ولو كانت تافهة لا يؤبه لها كحركة عسكر الترك في حدود ايران أو تقوية الاسطول العثماني بعدة مدرعات من طراز دريدنوط ، وان هذه الاخبار التي تنتشر بسرعة زائدة تؤثر في نظرهم السياسي

فما هي الوسائل التي يتخذها عمال الحكومة لتلافي تلك التحريضات السياسية ؟ لاشك عندنا انه لا يمكن لاولئك العمال الجاهلين غير الاغضاء عن حياة مسلمي تركستان المعنوية لانهم لا يعرفون شيئاً منها الآن كما كانوا لا يعرفون شيئاً عنها من قبل ، وهذه سياسة مؤسفة ظهر عدم نفعها من تطبيقها على مسلمي (القرم) وأطراف (فولغا) — فالواجب اذاً الاسراع بتبديل الادارة هنالك وتفويضها الى الادارة الملكية وجعلها بحيث توافق منافع الحكومة واقتضاء الزمان . وقد كان صدر بذلك فرمان عال منذ عشر سنين اهـ

(المنار) هذا بعض ما كتب في هذه الجريدة الروسية الشبيهة بالرسمية في عاصمة هذه الدولة ، فليعتبر بها المسلمون كافة والعثمانيون عامة والمعنيون منهم خاصة ، فروسية التي سكتت لها الامم كافة عن معاملتها للمسلمين لا تريد أن يجتمع ترتيبهم بتركهم ولا أن يتعلموا كما يريدون ولا أن يمر ببلادهم سائح مسلم ، وأما الدولة العثمانية فهي على حرية الشعوب والملل فيها ووصولها الى درجة الفوضى وعلى السياح لكل ملة بأن تعلم كما تريد من غير أن تعرف الحكومة لها طريقة تعليمها وتقرها عليها — هي على هذا كله تتهم بهضم حقوق النصارى وتطالب بأن تجعل مدارس جميع الطوائف المسيحية الدينية وغير الدينية في حكم المدارس الرسمية تعتمد شهاداتها وتقبل المتخرجون فيها في وظائف الحكومة وأعمالها

هذا واننا نرجو أن تنبه هذه الوساوس التي يصرح بها القوم أفكار المسلمين الى ما يتهمون به وهو لم يخطر لهم على بال ، وقد ذكرت جريدة (وقت) التترية بعد نشر هذه المقالة مثلا فيه موعظة وعبرة للمستبصرين وهذه ترجمته

﴿ عرّاف ﴾

صادف عرّاف تاجرا في السفينة ذاهباً الى سوق كذا في بلد كذا فقال له : ألا أنبئك بما تفكر فيه الآن ؟ قال التاجر كم أخذ على ذلك ؟ قال ما تسمح به حالك قال التاجر لك ذلك . فأخذ العراف بيده وجمجم وقال : انك تقول في نفسك انا أعلنت افلاسي بعد الوصول الى السوق وصالحت الغرماء أصحاب الديون على عشرين في المئة فانني أربح ربحا كثيرا . فلما سمع التاجر هذا الكلام ظهر على وجهه أمارات التحير والاهتمام . فقال العرّاف : أما أصبت المرمى ؟ قال التاجر لا ولكنك نبهتني الى فكرة حسنة ما كانت في بالي اه

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

(١)

(ارساليات التبشير البروتستانية)

مقدمة المسيو شاتليه (١)

قلنا في سنة ١٩١٠ عندما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة في موضوع السياسة الاسلامية :

(*) عربها جريدة المؤيد عن مجلة العالم الاسلامي التي تصدرها في فرنسا (الارسالية العلمية الفرنسية) ونحن ننقلها عنها مع شيء من التصحيح والتحريف . وقد أنشئت هذه المجلة منذ خمس سنين وكانت مباحثها علمية ولم تكن تتعرض للمسائل السياسية الا قليلا ومنذ احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانجليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها من الوصول بالمال الى المقاصد السياسية والدينية

(١) المسيو شاتليه رئيس تحرير هذه المجلة هو أستاذ المسائل الاجتماعية الاسلامية، وممن يكتبون فيها المسيو لويز ماسنيون المستشرق الذي أقام في بغداد سنين عديدة وقد كان في مصر منذ سنتين وهو من أصدقاء فقيدنا الشقيق السيد حسين وصفي وقد رثاه بمقالة أرسلها الينا ونشرت في الجزء السابق . ويكتب فيها كثير من العلماء الذين لهم اطلاع على اللغة العربية والعلوم والمذاهب الاسلامية واللغات الاخرى التي يتكلم بها المسلمون　　صالح مخلص رضا

« ينبغي لفرنسة أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتحقق من فائدته . ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم بها الرهبان المبشرون وغيرهم لان لهذه المشروعات أغراضاً خصوصية وليس للقائمين بها حول ولا قوة في هيأتنا الاجتماعية التي من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التي يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة الى الغرض العام الذي نحن نتوخاه . وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذي يكون تحت إشراف الجامعات الفرنسية نظراً لما اختص به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الارادة

« وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث في دين الاسلام الاوضاع المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسية »

هـذا ما ارتأيناه يومئذ وسيظهر ما يؤيده في الفصول التالية المتعلقة بارساليات التبشير البروتستاني الانجلوسكسونية والجرمانية الدائبة على العمل في العالم الاسلامي حتى أصبحت أهميتها تفوق كثيرا ما اعتاد الفرنسيون أن يتصوروه لان النشاط وقوة الجأش التي يظهرها القائمون بأعمال هذه الارساليات تختلف عما تمتاز به أمتنا

وكنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في ذكر تفصيل أعمال هذه الارساليات التي اشتهرت بمجهوداتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الاسلام

وحسبنا أن نستشهد بارسالية التبشير الكاثوليكية في بيروت لتكون موضوع التفكير والتأمل في فرنسة . إن (كلية القديس يوسف) اليسوعية التي تدير أعمالها هذه الارسالية لاتأثير لها على النشوء الفكري في المحيط الاسلامي ولكن التعليم الذي تنشره وتبثه كان له الحظ الاوفر من نشر الافكار الفرنسية في سورية والقطر المصري

نعم ان غاية المدرسة اليسوعية وطريقة التعليم فيها تختلفان عن غاية وطريقة المدرسة الكلية الفرنسية في غلطة (الاستانة) الا أن النتائج كانت متقاربة من حيث تعميم المبادئ والافكار التي تنشرها اللغة الفرنسية . ومن هـذا يتبين لنا أن ارساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبر وحكمة تأتي بالنفع الكثير في البلاد الاسلامية من حيث انها تبث فيها الافكار الاوربية

الا أن لارساليات التبشير مطامع أخرى كما يتبين من الجملة الآتية التي أستخرجها من رسالة أرسلها إلي من جزيرة البحرين (قرب عمان) في ٢ أغسطس سنة ١٩١١

حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر منشئ مجلة العالم الاسلامي الانجليزية ، وهو يبني فيها صروح آمال شاخة على أعمال المبشرين البروتستانتيين قال :

« ان لنتيجة ارساليات التبشير في البلاد الاسلامية مزيتين – مزية تشييد ومزية هدم ، وبعبارة أخرى مزيتي تحليل وتركيب . والامر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغير الذي أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الاخلاقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وبلاد أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه . ولا ينبغي لنا أن نعتمد على احصائيات (التعميد) في معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين لانا هنا واقفون على مجرى الامور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي » اهـ

ولا شك في أن ارساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تقتلع العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها أو تزحزحها ، ولا يتم لها ذلك الا ببث الافكار التي تتسرب من اللغات الاوربية ، فبنشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية يتحكك الاسلام بصحف أوربة وتمهد السبيل لتقدم اسلامي مادي وتنقضي ارساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها الا بعزلتها وانفرادها؟!

أما ما يقوله حضرة مكاتبنا من وجود مئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سرا وهم ينتظرون فرصة للجهر بها فذلك أمر لا يمكننا البت فيه مع حضرة المكاتب . على انه ليس من الحوادث الغريبة أن يتنصر بعض أفراد ينتمون الى أصل فارسي أو هندي لان اختلاف النحل والاعتقادات في هذه العناصر هو من مزاياها الاجتماعية وكذلك الحال في الوسط السامي المتصل بالاصل العبري ولكن من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصر في بيوت السادات العلوية وبين الباتان (الافغانيون الخلص الموجودون في بلاد الهند) ومشايخ الهند وجيرانهم الافغانيين والاتراك والتركمان والعرب الحقيقيين والبربر .

ولا ينبغي لنا أن نتوقع من أكثرية العالم الاسلامي بأن تتخذ له أوضاعا وخصائص أخرى اذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية اذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الاسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاض والاضمحلال الملازم له سوف يفضي – بعد انتشاره في كل الجهات – الى انحلال الروح الدينية من أساسها لا الى نشأتها بشكل آخر

على أن المناقشة في هذه المسألة لاطائل تحتها لان الآراء تنبعث عن وجهة التفكير فلنقتصر اذن على القول بأن سير العالم الاسلامي يتدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها وذلك أمر طبيعي ممكن التحقق ، أما فرض تدرج المسلمين في اعتناق المسيحية فخارج عن حد الامكان لان المسلم كالمسيحي واليهودي لا يجذبه التعليم العصري الى الاعتقادات الدينية

ولكننا نعود فنقول انه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثاني من خطتهم (الهدم) فان نزع الاعتقادات الاسلامية ملازم دائما للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبيل لاعمال المدنية الاوربية ، اذ من المحقق أن الاسلام يضمحل من الوجهة السياسية وسيكون بعد زمن في حكم مدنية محاطة بالاملاك الاوربية .

قد يظهر لاخواننا المسلمين أننا نتصرف في مستقبلهم بحرية وعدم تكلف ، ولكن من منهم ينكر أن العالم الاسلامي أصبح هدفا لغلطات فتيان جمعية الاتحاد والترقي الذين ورثوا عبد الحميد واستعملوا وسائله السياسية بعد أن خلعوه ، ولم تكن أمامهم وسيلة لانقاذ السلطنة العثمانية والخلافة الاسلامية غير تنظيم حكومة مؤلفة من ولايات اسلامية متحدة ، وكل وسيلة غيرهذه كانت لنتيجة لا بد منها وهي تقسيم المملكة؟

اننا لم نكن نرمي الكلام على عواهنه وما كنا نقصد غير تقرير حقيقة راهنة ، عندما نبهنا المسلمين من قراء مجلتنا — قبل احتلال طرابلس الغرب بستة أشهر — الى ماتخبئه الايام للاستانة التي ستقع بين مخالب ألمانيه وروسيه

ان ارساليات التبشير البروتستانيه الانجلو سكسونيه تعلق أهميه كبرى على الحال الجديدة التي ظهر بها العالم الاسلامي وقد رأينا أن نذكرهما ارساليات التبشير الالمانيه لما عقد بينهما من الاواصر والروابط في مؤتمري سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١ ولم يبق ارتباطهما مقتصرا كسابق عهده على تناوب كرسي الاسقفيه البروتستانيه في بيت المقدس

وليس من المستغرب ونحن نبدي اعجابنا بأعمالها أن نلح بتزاحمها ومسابقتها ، خصوصاً وان السيطرة على أهم الاسواق البشريه صارت متوقفه على هذه المزاحمه والمسابقه ، وكنا نود لو كان في الوقت متسع لبسط القول وايضاح مجرى الامور في هذه المسألة بحذافيرها لانها جديرة باهتمام رجال فرنسه بلا اضاعة وقت ، الا أننا اضطررنا الى الاقتصار على جمع بعض أمور وقفنا عليها راجين تنبيهاهنا بقدر الامكان

ونحن نكتفي بعرض هذه الامور من غير تعليق عليها لانا اقتطفناها من مؤلفات وفصول شتى ونقلناها على الترتيب المتبع في مثل هذه الظروف ، وان المسألة التي تهمنا سوف تتبدد شكوك ذوي البصيرة والروية لدى اطلاعهم على ماعرضناه أمام أنظار قراء مجلة العالم الاسلامي

ونؤمل من ذوي الشأن في ارساليات التبشير البروتستانية أن لاينكروا علينا انتهاج هذه الخطة التي هي خطة علمائنا ، وهم أعلم الناس بعواطفنا وشعورنا نحو عملهم الذي لايمكننا أن نذكر أهميته الا مقرونة بالالحاح في ذكر الضرورات التي تقتضيها السياسة الفرنسية الوطنية لاجل تحول مجهوداتنا الى التعليم التابع لطريقة المدارس الجامعة الفرنسية وذلك أشد العوامل تأثيرا على بلادنا للدخول في حلبة المسابقة لنشر العلم العقلي

(٢)

﴿ تاريخ التبشير ﴾

اقتصرت مجلة العالم الاسلامي في هذا الفصل على تلخيص كتاب (مشروع التبشير) لذي ألده المستر (ادوين بلس) البروتستاني ثم أعاد طبعه قبل عشر سنوات فزاد عليه زيادات أخرى وسماه (ملخص تاريخ التبشير) ذكر فيه تاريخ ارساليات التبشير البروتستانية على اختلاف نزعاتها منذ نشأتها في القرون الغابرة الى تاريخ الطبعة الثانية لكتابه ، مع بيان ما بين هذه الارساليات من ارتباط وتضامن

ثم قالت : « ان هذا السفر نفيس في بابه يتسنى لقارئه أن يقف على حقيقة أعمال الارساليات البروتستانية في بلاد الاسلام حتى أواخر القرن التاسع عشر، الا أننا نتكر على مؤلفه عدم اشارته الى الارساليات الكاثوليكية وهذا موضع الضعف في كتابه بل في أعمال ارساليات التبشير جميعاً على اختلافها ، ولو كان المبشرون الكاثوليك والبروتستانت الذين يجتمعون في بلاد اسلامية يتنبهون الى أن انقسامهم يحط من قدرهم ويقلل هيبتهم، يوطد أركان الاسلام لكانوا على الاقل يوهمون الناس بأنهم متفقون ظاهرا ، خصوصا وان انقسامهم هذا يمهد للاسلام السبيل لاستمداد مبادى الحضارة من ارساليات المبشرين من غيران يقتبس أفكارها الدينية ، ولاريب ان نخبة الاذكياء المسلمين في مصر وسورية -- عند ماينظرون الى هذه التفرقة الموجودة بين الارساليات الكاثوليكية والبروتستانية والعلمانية التي تتجاهل كل منهن الاخرى --

لا يترددون في الحكم على مذاهب النصرانية بأنها قد فقدت التوازن بالرغم من الخدم التي تأتي بها الحضارة الاوربية

واستأنفت المجلة بعد هذا الاستطراد كلامها على كتاب المستر بلس فقالت : انه ينقسم الى قسمين الاول في تاريخ التبشير العام وطرائقه ، والثاني في وصف موقف الارساليات البروتستانية وأعمالها في البلاد الاسلامية

ويقول المؤلف ان تاريخ التبشير المسيحي يرجع الى صدر النصرانية ومبدأ تأسيسها، وذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالنصرانية في القرون الوسطى فقال ان (ريمونلول) الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد ان فشلت الحروب الصليبية في مهمتها . فتعلم (لول) هذا اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة

وذكر المؤلف في الفصل الثالث المبشرين الكاثوليك والدور الذي لعبوه في ثورة (البوكسر) الصينية وتداخلهم في شؤون القضاء ، وها انتقدت مجلة العالم الاسلامي الكاثوليكية على هذا المؤلف البروتستاني اقتصاره على ذكر تاريخ المبشرين الكاثوليك في ثماني صفحات فقط وقوله ان المسلمين ينظرون الى الطقوس والاحتفالات الكاثوليكية باشمئزاز . ووصفت المجلة هذا القول بأنه لا ينشأ عن محبة مسيحية .

وفي الفصل الرابع وصف المؤلف تنظيم ارساليات التبشير في القرون الوسطى في الهند وجزائر السند وجاوه واختلاط المبشرين بالمسلمين منذ ذلك الحين ، وأشار الى (بترهيلنج) الذي احتك بمسلمي سواحل أفريقية والى اهتمام هولندة بالتبشير في جاوه في أوائل القرن الثامن عشر حتى قسمت جاوه لهذه الغاية الى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة ، وقال ان عدد الذين تنصروا فيها سنة ١٧٢١ بلغ ١٠٠٠٠٠ وكان عدد النصارى في سيلان سنة ١٧٣٢ — وكانت يومئذ تحت سلطة هولندة — يبلغ ٤٢٤٠٠٠ وتساءل عما بقي منهم الى الآن ، وقال ان المسلمين كانوا فيها قليلين فصاروا الآن فئة كثيرة

ثم ذكر تحريك البارون (ده ويتز) ضمائر النصارى سنة ١٦٦٤ الى تأسيس مدرسة كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي تعلم فيها لغات الشرق للطلاب الذين يناط بهم أمر التبشير ، فرأى أحد أحبار الكنيسة أن تمهد الى الاروام مسئولية تبشير الأتراك ثم فشل البارون في مشروعه

ثم سرد المؤلف تاريخ تنظيم الارساليات البروتستانية من دنمركية وانكليزية والمانية

وهولندية واتصال بعضها ببعض وما كان من مساعدة فردريك الرابع وكرستيان السادس ملكي الدانمرك وحكومة هولندة وتأييدهم لاعمالها في القرن السابع عشر وما بعده في كل أقطار العالم

وانتقل الى البحث في أعمال هذه الارساليات في القرنين الاخيرين فقال : ان المستر (كاري) هو الذي فاق أسلافه في مهنة التبشير فدرس لغة اللاتين واليونان والفرنسيس والهولنديين والعبرانيين كما تعلم كثيراً من العلوم ، ولما نشر كتبه في التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ففتح له باب الاكتتاب وذهب الى الهند لهذا الغرض وصارت الاموال ترسل اليه ثم طلب أن يرسل اليه ناس يؤازرونه في التبشير فتأسست سنة ١٧٩٥ (جمعية لوندرة التبشيرية) وسرعان ما تأسست جمعيات على شاكلتها في « اسكوتلندة » و « نيويورك » وانتشرت هذه الفكرة في ألمانية والدانمرك وهولندة والسويد ونروج وسويسرة وغيرها وتعذر على الفرنسيين أن يقوموا بشيء من هذا القبيل لانشغالهم بالثورة التي آلت الى الانقلاب المشهور

وتأسست جمعيات فرعية كثيرة مثل (جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية) وبلغ الشغف بهذا العمل أن أسست (ارساليات تبشير طبية) تلحق بالارساليات العامة نجحت نجاحاً باهراً لذلك أخذت تنمو وتزداد وتألفت لها أقسام نسائية وأرسل بعضها الى الهند والانضول

وفي سنة ١٨٥٥ تأسست جمعية (الشبان المسيحيين) من الانكليز والامريكان ووظيفتها ادخال ملكوت المسيح بين الشبان ، وعقد تلاميذ المدارس النصرانية في (نورثفيلد) مؤتمراً اجتمع فيه ٢٥٠ مندوبا عن ٨٠ مدرسة تكافلت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع في نشر الدين المسيحي ، ومن هؤلاء تألفت (جمعية الشبان المتطوعين) للتبشير في البلاد الاجنبية

ويقول المؤلف انها لعبت دوراً هاماً في تبشير المسلمين على الخصوص ! لان شعارها كان نشر « الانجيل بين أبناء الجيل الحاضر » ثم تبع ذلك تأسيس جمعيات تبشير في كل بلاد البروتستان . وفي سنة ١٨٩٥ تأسست (جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم) وهي تهتم بدرس أحوال التلاميذ في كل الاقطار وبث روح (المحبة) بينهم

فالتحق بها ١٠٠،٠٠٠ طالب وأستاذ يمثلون ٤٠ قوما، فتولد من وجود هذا العدد العظيم ميل الى الانتفاع به ولذلك تأسست سنة ١٩٠٢ (جمعية تبشير الشبان) ومن وظائف هذه الجمعية الاخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة الى استماع صوت المبشرين . ثم تقرر سنة ١٩٠٧ أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول وقد تأسست بالفعل وأخذت تباشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن

هذا ملخص القسم الاول من كتاب المستر (بلس) فيما يتعلق بتاريخ ارساليات التبشير وأعمالها في بلاد الاسلام . وأما القسم الثاني فخاص بذكر مراكز تنظيم هذه الارساليات وادارة أعمالها في كل قطر على حدة . والى القارئ ملخص هذا القسم :

﴿ أفريقية ﴾

قال المستر (بلس) : ان الدين الاسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية . والمسلم وحده هو العدو اللدود لنا لان انتشار الانجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم ولا من مناضلة الامم المسيحية وغير المسيحية وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق — لان هذه التجارة صارت صعبة — بل أن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقية كما هو كذلك في فارس. فالشيخ أو الدرويش يجوبان شواطئ البحر الاحمر والنيجر ومراكش ووادي ويئثان في الاهالي أن المهدي ينتظر ظهوره وسينشر الاسلام في كل الاقطار . وقد ظهر مهدي منذ سنين لحارب الانكليز ثم توفي فتولى الامر بعده خليفة غلب على أمره

أما الشيخ السنوسي العدو الالد للنفوذ الفرنسي والانكليزي فله تقاليد أخرى ويقول المستر (بلس) ان طلبة الازهر يعتقدون بالمهدي . وأما المراكشيون فلا يزال يدور في خلدهم امكان الجهاد وهو يرى أن الملحمة الكبرى بين أوربة والاسلام ستنشب في غربي أفريقية أو في شمالها . ولا ينبغي أن نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذي حدث في السودان

دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقية منذ القرن الخامس عشر (أي في أثناء الاكتشافات البرتغالية) وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إليها ارساليات التبشير البروتستانية من انكليزية وألمانية وكذلك ارساليات التبشير الفرنسية

ولم تهتم جمعية الكنيسة البروتستانية بالتبشير في أفريقية الغربية الا منذ سنة ١٨٠٤ حيث تعاضدت ارسالياتها وانكفأت على الكونغو ، وهذه الجمعية تقاتل الآن بمؤازرة الاسقف (صموئيل كروتز) الزنجي سلطة الاسلام المتدفق في النيجر وأفريقية الغربية . وفي سنة ١٨١٩ اتفقت هذه الجمعية مع الاقباط وألفت في مصر ارسالية عهدت اليها بنشر الانجيل في أفريقية الشرقية وقررت ارسال مبشرين الى الحبشة ولكنها فشلت على أثر المناظرة بين اليسوعيين والبروتستان . ثم أخذ المبشرون السويديون والانكليز يرتادون غربي أفريقية وتبعهم مبشرو المدرسة الجامعة ليهبطوا مدينة (منبسة) ثم عززت ألمانية ارسالياتها عقب اتساع مستعمراتها لكن سرعان ما ظهرت المنازعات بين الكاثوليك والبروتستان وكان أهم ذلك في (أوغندة) بين مبشريها الوطنيين والرهبان البيض الذين ألف ارسالياتهم (الكاردينال لافيجري) (١)

وتوافد المبشرون على أفريقية الوسطى عقب بعثة (لفنستون) و (ستانلي) سنة ١٨٧٨ فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألماني واسكتلندي وانكليزي وموراني وهؤلاء انتشرت ارسالياتهم بدون انقطاع من شرقي افريقية الى أواسطها حتى الخرطوم والحبشة وبلاد الجلا . وجاءت هذه الارساليات بنتائج حسنة

أما بلاد المغرب فللمبشرين خاصون بها تولتهم (جمعية تبشير شمال أفريقية) وهم منتشرون في مراكش والجزائر وتونس وسائر بلاد المغرب ومنهم المبشرون والاطباء التابعون لهم. ولقد شاع ان ذوي الامر في فرنسة وايطالية حانقون على رجال التبشير الا أن حاكم الجزائر طمأن بال الاسقف (هارتزل) في الايام الاخيرة وصرح له بأنه ينظر الى أعمال المبشرين بعين الاستحسان

وقبل الانتهاء من الكلام على أفريقية لانرى بدا من الاشارة الى جزيرة دغسكر التي يقوم فيها المبشرون البروتستان بخدمة مهنتهم بكل جد ونشاط

﴿ آسية الغربية ﴾

كان المبشر (هنري مارتين) يذطولى في ارسال المبشرين الى بلاد آسية الغربية مذ أن أقام في الهندمدة عرج على فارس والبلاد العثمانية وتوفي سنة ١٨١٢ وهو

(١) (المؤيد) هو الذي كان طعن على الاسلام في مسألة الرق فألف سعادة احمد شفيق باشا كتابا بالفرنسية رد به عليه وترجمه سعادة احمد زكي باشا الى العربية باسم (الرق في الاسلام)

الذي ترجم التوراة الى الهندية والفارسية والارمنية ومن بعده أخذت ارساليات التبشير تشد الرحال الى الانضول وفلسطين واتخذت لها مراكز في أزمير والقسطنطينية وبيت المقدس وتصدرت للتبشير في صفوف النسطوريين على حدود فارس والسلطنة العثمانية وفي صفوف اليعقوبيين في ما بين النهرين . وفي مقدمة هذه الجمعيات لجنة التبشير الامريكية الا أن جمعيات اليهود الانكليزية سبقتها الى بعض البلاد العثمانية مثل أزمير والاستانة وسلانيك فافتتحت فيها مدارس دينية ومعابد . ومنذ سنة ١٨٤٩ أخذت ترد ارساليات أخرى على هذه البلاد فقسمتها الى مناطق وأصابت لجنة التبشير الامريكية منطقة قبائل النصيرية في سورية فأخذت على عاتقها تنصير هذه القبائل وذهب قسم من هذه الجمعية الى بلغاريا لينفذ خطته هناك

ولما حدثت حوادث سنة ١٨٦٠ في سورية توجهت الانظار الى جبل لبنان وبعد عشر سنوات انتشرت لجنة التبشير الامريكية في البلاد العثمانية عدا سورية . وعلى أثر تأسيس الكنيسة البروتستانية في الآستانة سنة ١٨٤٦ صارت الآستانة مركزاً عاماً آمنا لاعمال المبشرين ؟ !!

أما موقف الحكومات الاسلامية أمام ارساليات التبشير فكان يختلف باختلاف البلاد . فالقبائل المستقلة في بلاد العرب عدوات لدودات للمبشرين ، وبلاد الفرس سائد فيها نفوذ روسية ، والسلطة الاسلامية في القطر المصري اسمية فقط . وكانت الحكومة العثمانية تبدي ضروب الاستبداد نحو المبشرين على اختلاف مذاهبهم بسبب الدور السياسي الكبير الذي يمثله نفوذ المبشرين على مسرح المسألة الشرقية . وكانت معاملة الحكومة العثمانية للمبشرين تحسن بواسطة سفراء الولايات المتحدة

وقد اجتهد المبشرون في ترجمة الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) الى كل لغات الشرق بأسلوب سهل يتسنى فهمه لكل الطبقات

وأكبر ما يثير قلق المستر (بلس) مؤلف هذا الكتاب هو الدور الذي ستقوم به الدولة العثمانية في الحوادث المقبلة !. . . مادامت أنظار القبائل السنوسية الشديدة البأس متجهة نحو السلطنة العثمانية التي يحكمها أمير المؤمنين وفيها بيضة الاسلام. ومثل السنوسيين الامم الاخرى البعيدة عن الاستانة مثل بخارى وخيوة والهند والبلاد الاسلامية الشاسعة

﴿ الهند ﴾

انتشرت ارساليات التبشير في الهند عقب ارسالية (جمعية لوندرة التبشيرية) التي

قام بها (كاري) ثم تبعتها الارساليات الامريكية والاسكوتلندية والهولندية والنروجية وكلها تؤدي وظيفتها بنشاط وتقوم بأعمالها بكل دقة

وكان كل هؤلاء في بادي الامر قد وقعوا في الحيرة ، لانهم لم يعلموا بمن يبدأون التبشير ، وهل يسهل بث النصرانية في البرهمي أو المسلم المتنور أو الهندي العامي !

ثم اهتدوا الى التقاط الاطفال الذين بعضهم ناب الفاقة والفقر وجعلوا يحسنون اليهم ويستجلبونهم نحوهم

ومؤتمر التبشير الذي عقد في (شيكاغو) قرر أن ينظر في وسائل تعميم التبشير في الهند ونشر النصرانية وتفسير تعاليمها بين كل طبقات الاهالي

﴿ جزائر الملايو ﴾

يوجد في شبه جزيرة الملايو وجزائرها المجتمعة عقائد ونزعات سقيمة لان اهل هذه البلاد اعتنقوا الاسلام في القرن الثالث عشر ومزجوا به ما علق بهم من عقائدهم القديمة ثم اقتبسوا شيئا من مذهب الكاثوليك عقب ظهور البرتغاليين ومن مذهب البروتستان بعد استيلاء الهولنديين على هذه البلاد والهولنديون أبدوا قسوة وعدم تسامح في القرون الوسطى في نشر عقيدتهم وفي هذه الايام ذهبت ارساليات كثيرة الى الملايو لتبشيرهم بالنصرانية

﴿ الصين ﴾

في هذه المملكة مسلمون كثيرون بعددهم قليلون بالنسبة الى مجموع سكان البلاد وتاريخ ذهاب ارساليات التبشير الى الصين يرجع الى سنة ١٨١٣ ولما افتتحت الثغور الصينية بعد ذلك انتشر فيها المبشرون والاطباء والممرضون التابعون لهم انتشاراً هائلا واتسع نطاق أعمالهم وجاء بثمرات كثيرة (يتلى)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٣

﴿ جور العمال ﴾

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان أنواعاً من الجور والشدة الصادرة من عمال بني أمية ونحن نذكر بعضاً منها مع كشف الحقيقة

قال بذكر جور العمال « واذا أتى أحدهم بالدراهم ليؤديها في خراجه يقتطع الجابي منها طائفة ويقول : هـذا رواجها وصرفها »(الجزء الثاني صفحة ٢٢ واستند في الهامش الى كتاب الخراج لابي يوسف صفحة ٦٢)

أيها الفاضل المؤلف ! أليس لك وازع من نفسك ؟ أليس لك رادع من ديانتك ؟ أتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر ؟ والمين الفاحش جهرة؟فان القاضي أبا يوسف ما تكلم في شأن عمال بني أمية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هارون الرشيد واساءتهم العمل في جباية الخراج وكتاب الخراج لابي يوسف بين أيدينا وقد طبع في مصر وتداولته الايدي وتناقلته الالسن . قال المؤلف

« وفي كلام القاضي أبي يوسف في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج ما يبين الطرق التي كان أولئك الصغار يجمعون الاموال بها قال : « بلغني انه قد يكون في حاشية العامل أو الوالي جماعة منهم من له به حرمة ، ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بأبرار ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم في أعماله ، يقضي بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينصفون من يعاملونه انما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان أو من أموال الرعية ثم انهم يأخذون ذلك كله فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدي . . . ويقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم عن الصلاة وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام (الجزء

الثاني صفحة ٢٣ و ٢٤ مستنداً الى كتاب الخراج صفحة ٦١ و ٦٢)

الله أكبر! هل سمع أحد بأعظم من هذا التدليس والتلبيس؟ يشتكي القاضي أبو يوسف من عمال هارون الرشيد ويرفع القضية اليه ويبين ما بلغه مما يرتكب عماله في أخذ الاموال من الرعايا، فيأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هي الطرق التي كان عمال بني أمية يجمعون الاموال بها!! هاهو كتاب الخراج بأيدينا قرأناه وقلبناه ظهراً لبطن وكررنا فيه النظر لا كرة أو كرتين بل مرات متوالية متتابعة فما وجدنافيه كلمة في شأن عمال بني أمية وانما قال ماقال أبو يوسف يعظ الرشيد بما بلغه عن عماله الى أن خاطبه بقوله

« فلو تقربت الى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلساً واحداً تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوت أن لاتكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ولعلك لا تجلس الا مجلساً أو مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم . . مع انه متى علم العمال والولاة انك تجلس للنظر في أمور الناس يوماً في السنة ليس يوماً في الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وأنصفوا من أنفسهم (كتاب الخراج صفحة ٦٣ و ٦٤)

لا فض فوك يا أبا يوسف! فقد صدعت بالحق وأمرت بالمعروف واجترأت على النهي عن المنكر وأخذت على ملك جبار كهارون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة، وما أكبر جرأتك أيها الفاضل؟! (جرجي زيدان) أنك تتبعت سيرة عمال بني أمية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فأعوزك كل هذا وما وجدت في أعمالهم شيئاً من مثل تلك الفظائع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد وأوهمت الناظرين أنها سيرة عمال بني أمية!

قال المؤلف « وكان العمال لا يرون حرجاً في ابتزاز الاموال من أهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم أنها فيء لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٧٥)

الذي أشار اليه بقوله « تقدم » هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه:

« وكان من جملة نتائج تعصب بني أمية للعرب واحتقارهم سائر الامم انهم اعتبروا أهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقاً حلالاً لهم - يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق: ماالسواد الا بستان قريش ماشئنا أخذناه وماشئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما سأله عن مقدار ماعليهم من الجزية فقال عمرو: انما أنتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلا على أن العرب وبني أمية كانوا يتصرفون في أموال الناس كيفما شاءوا ظناً منهم ان أموالهم واعراضهم ابيحت لهم مطلقا حقيقة القول انه لما فتحت البلاد في خلافة الفاروق تقدم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا : انا الارض مقسومة بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وفق الى الاستناد بنص القرآن فسكتوا ورضوا والقصة مذكورة بتفاصيلها في كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف . ثم ان بعض البلاد فتحت صلحاً ففي كان الخراج أو الجزية شيئاً مسمى معيناً ما كانوا يرون الزيادة عليه وان اكثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها . وفتح بعضها عنوة فكان الخراج أو الجزية عليها بقدر النقص والزيادة وهذا هو قول عمرو « ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم » وقد اشار الى ذلك المقريزي في تاريخه والعلامة السيوطي في حسن المحاضرة . فأما قول سعيد بن العاص الذي استند اليه المؤلف فتحريف للكلام عن موضعه على جاري عادته فان المؤلف نقل هذه الرواية من الأغاني والمذكور فيه ماحاصله « ان أحدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم : نعم وياليته كان للامير لنا ، فقال بعض من حضر : لانعطأرضنا للامير فقال الرجل : ولو شاء الامير لاخذه ، فأنكروا قوله فقال سعيد بن العاص « السواد بستان قريش الخ » فقال الرجل لا ! انه متاع وماخذنا فانت ترى ان النزاع بين الجند وأمير البلد هنا هو النزاع الذي كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق وأي متشبث في ذلك للمؤلف ؟ فان سعيد بن العاص قال ماقال رداً على الجند بدعوى ان الارض لا تقسم بين فاتحي البلاد بل هي تحت يد الخليفة أو من ينوب عنه وانما ذكر سعيد قريشاً لان الخلافة على زعمهم لقريش خاصة ،

*

قال المؤلف « فكان الخلفاء يكتبون الى عمالهم بجميع الاموال وحشدها والعمال لايبالون كيف يجمعونها فقد كتب معاوية الى زياد « اصطف لي الصفراء والبيضاء » فكتب زياد الى عماله بذلك وأوصاهم ان يوافوه بالمال ولا يقسموا بين المسلمين ذهباً ولا فضة » (الجزء الرابع صفحة ٧٥ واحال الرواية في الهامش على العقد الفريد صفحة ١٨ من المجلد الاول)

ننقل مأخذ هذه الرواية كما صرح به المؤلف في الهامش لترى خيانات المؤلف واحدة بعد واحدة . قال صاحب العقد

« ونظير هذا القول مارواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الى الحكم بن عمر الغفاري وكان على الطائفة ان امير المؤمنين كتب اليّ ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فكتب اليه «اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين» الخ ما كتب ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء » (العقد الفريد المجلد الاول صفحة ١٧ أو ١٨)

فانظر ! (اولا) انه ليس في هذه الرواية ان معاوية كتب الى زياد بل ان زياداً كتب الى الحكم ان امير المؤمنين كتب اليّ الخ والعل زيادا كذب في ذلك أو فهم غير ماأراد معاوية بقوله ،

(ثانياً) ان المؤلف حذف كل ماقال الشعبي وما عمل به من تقسيم الفيء لدلالته على ان في عمال بني أمية من لايمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب أحد ، لاولاة الامصار ولا من فوقهم اي الخليفة نفسه

(ثالثاً) انه ليس في هذه العبارة مايستدل به على استئثار معاوية بالمال لنفسه فان مراده ان العمال ليس لهم تقسيم الفيء بل الامر موكول الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة أن يضعها موضعها ،

قال المؤلف « فكان العمال يبذلون الجهد في جمع الاموال باية وسيلة كانت ومصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور . وأهمها في أول الاسلام الجزية لكثرة أهل الذمة فكان عمال بني أمية يشددون في تحصيلها فأخذ أهل الذمة يدخلون في الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدوا اسلامهم حيلة للفرار من الجزية وليس رغبة في الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم. وأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بني امية في افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتد اناس عن الاسلام وهم يودون البقاء فيه وخصوصاً أهل خراسان وما وراء النهر فانهم ظلوا الى أواخر أيام بني أمية لايمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد اسلامهم » (الجزء الرابع صفحة ١٦)

ذكر المؤلف هذه الواقعة أي أخذ الجزية بعد الاسلام في غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطأة على القلب يتراءى للناظر فيها ان الناس أحيطوا من كل جانب جوراً وعدوانا فاذا بقوا على الكفر يعانون من الشدة مايلجئهم الى الاسلام واذا أسلموا فالجزية باقية على حالها لايخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ،

﴿ تحقيق مسألة الجزية في الاسلام ﴾

١ — اعلم ان الجزية ليست الابدلا عسكريا فمن يذب عن بيضة الملك بنفسه فهو غير مأخوذ بها أما من ضن بالنفس أو كان لا يصلح لذلك فعليه ان يؤدي شيئا من المال ليكون عدة للعسكر وعوناً له . وأول من سن الجزية وجعل لها وضائع كسرى انوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بأنها هي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب ، وكم تجد في البلاذري والطبري وغيرهما ان أقواماً من النصارى في عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك أو دخلوا في الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب من الجزية، وأضعف عليها الصدقة . وجملة القول ان الجزية لم تكن في الاصل شيئاً يحد بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان أهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود كانوا اصحاب حرث وزرع وعمالا في الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحرب لذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طائعا اومكرهاً — صارت الجزية كأنها حد فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم .

٢ — ولما لم ينفصل الامر بتة وبقي للاجتهاد موضع ومتسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثي العهد بالاسلام

٣ — ولكن مع هذا لم يتفق ذلك في مدة الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصي وامرار النظر والكد في البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فاما أن تكون الامة هي التي تقيم النكير على العامل أو يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع في مثله آنيا ففي سنة ١٠١ لما كتب الحجاج الى البصرة برد من أسلم من أهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضج القراء وخرجوا يبكون مع البكاة من أهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح في تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمي بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يأمره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة في حوادث سنة ١٠٠ في تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيد بن أبي مسلم في أفريقية سنة ١٠٢ هجرية ألب الناس عليه وقتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم

اني ما كنت مستحسنا عمل يزيد والقصة مذكورة في الكامل تحت حوادث سنة ١٠٢ وكان آخر ما وقع من مثل ذلك ما فعل الأشرس في خراسان فأورث ثورة واشترك العرب مع الثائرين ونصروهم أما خلفاء بني أمية فلم يثبت عن أحد منهم مثل ذلك وانما كان أراد عبد الملك وضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمه ابن حجرة فترك . والقصة مذكورة في المقريزي بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٢٨ من الجزء الاول) . والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف

(١) ذكر واقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكاراً على صنيع الحجاج

(٢) ذكر واقعة الجراح (الجزء الثاني صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم

(٣) ذكر واقعة يزيد بن أبي مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد ابن عبد الملك استصوب صنيعهم أي قتلهم يزيد بن أبي مسلم

(٤) ذكر واقعة الأشرس ولم يذكر أن العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثي العهد بالاسلام لم يأمر به أحد من خلفاء بني أمية وانما كان اجتهاداً من بعض العمال بناء على أن اسقاط الجزية يورث نقصا في الخراج وان الخلفاء كما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تألب العلماء والخيار من الناس وأقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله، فهل للمؤلف أن يحمل أوزار بعض العمال على بني أمية كافة ؟ وهل يصح قوله

« ولم يكن عمال بني أمية يأتون هذه الاعمال من عند أنفسهم دائماً بل كثيرا ما كانوا يفعلونها بأمر خلفائهم كما قد رأيت مما كتبه معاوية الى وردان » (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

أما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمؤلف موضع حجة

قال المؤلف «ورأى هؤلاء (اي أهل الذمة) أن اعتاق الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم . فأدرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان. وأول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فأمر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب ديناراً » (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٣٩٢ من الجزء الثاني)

أيها الفاضل المؤلف! ماهذا الاجتراء ؟ ماهذا الاختلاق؟ ماهذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي « ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومئة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفي ايامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فاحصوا وأخذت منهم الجزية على كل راهب دينار وهي أول جزية اخذت من الرهبان » (الجزء الثاني من المقريزي صفحة ٣٩٢ أو ٣٩٤)

فهل تجد في هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز أو أحداً غيره شدّد في الجزية فاختاروا الرهبنة طلباً للنجاة من الجزية فما نفهم ؟ لا وانما فيها ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شيء فان الرهبان وان كانوا معافون من الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصاً لا في الكتاب ولا في السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز وأخطأ

﴿ انهاء هذا البحث ﴾

لو سردنا كل ما قال المؤلف عن جور بني أمية وعمالهم واستئثارهم بالاموال وإسرافهم في استلابها وبيّنا ما في كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة في النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلأجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسائسه مع انه قل من كل وغيض من فيض ، (١)

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فأي متعلق في ذلك لابداء مساوى بني أمية ؟ ولعلك تقول لابد في تاريخ تمدن الاسلام

(١) ومما يناسب ذكره في هذا المقام ان المؤلف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الي فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات في كل موضع وذلك لاجل اني كنت اخاف عليه التدليس، فأظهر المؤلف في مقدمة الجزء الثاني انه عمل بذلك ، ويذكر الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت في تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدرى اي نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدينا الى أكثر خياناتها ومن المحقق المستيقن به انه مانقل عبارة الا وعمل فيها شيئاً من التحريف والتغيير ومن كان في ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع حيرة واندهاش – ١٢

من بيان منهج السياسة وانها هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والنصفة تجر ذلك الى كشف عوار بني أمية عرضا . ولكن أناشدك بالله اما كان لاحد منهم مأثرة تذكر، ومنقبة تنقل، وسياسة تنفع البلاد، ومعدلة تعم الناس؟؟ نعم ان بني أمية لايوزنون بالخلفاء الراشدين وليس هذا عاراً عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم أمر خارج عن طوق البشر ، وليس فيه مطمع لاحد ، ولا موضع رجاء لمجتهد ، ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسيء ، والعادل والجائر، والناسك والخليع ، والحازم والمغفل، بل الذي اعدلهم سيرة وامثلهم طريقة وأوفاهم ذمما وأرضاهم طورا لايخلو [illegible] حزات لاتقال وهنات لاتذكر - فلو لزم المؤلف جادة الانصاف ووفى لكل احد قسطه وأعطى كل ذي حق حقه لاسترح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فأطرى في مدحه، ونال من الآخر فاسرف في تهجينه وذمه ، ثم انه لم يفارق في مدحه وذمه عمود الكتاب أي ذم العرب والحط من شأنهم فانه ذم بني أمية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لالانهم العرب أولانهم من سلالة هاشم اومن اقرباء النبي (ص) بل لان دولتهم دولة أعجمية وقد مر نصه في ذلك سابقا

وحان لنا أن نذكر طرفا من مآثر بني أمية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني أمية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فأما ماعداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم إن أحسنوا أو أساءوا

﴿ سيرة معاوية في دولته ﴾

فأما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال :

« كان من أخلاق معاوية انه كان يؤذن في اليوم والليلة خمس مرات ، كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له فيقول: ظلمت، فيقول: أعزوه، ويقول: عدي الي، فيقول: ابعثوا معه، ويقول: صنع بي، فيقول: انظروا في أمره، حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس

على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم فاذا استووا جلوساً قال : ياهؤلاء انما سميتم أشرافاً لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ، ارفعوا الينا حوائج من لايصل الينا، فيقوم الرجل فيقول: شهدفلان، فيقول: افرضوا له، ويقول آخر: غاب فلان عن اهله، فيقول : تعاهدوهم واقضوا حوائجهم، ثم يؤتى بالغداء والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه حتى يأتي على اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم على قدر الغداء »

واطال المسعودى في بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعدحكاية معترضة «فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما وسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بزه وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات » ثم ذكر بعد ذلك عدة وقائع تركناها هربا من الاطناب

﴿ سيرة عبد الملك بن مروان في دولته ﴾

وأما عبدالملك فقال المدايني « كان يقال معاوية أحلم ، وعبد الملك احزم ، وهو الذي جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن حياة ذلك المحدث المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرحون بن منصور الرومي (وهو نصراني) وحول الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض معاوية للموالي خمسة فبلغها عشرين ودخل في بيعته عبدالله بن عمر ومحمد بن الحنفية » ذكر كل ذلك صاحب العقد في ترجمته وقد سبق من نسكه وعبادته ما فيه كفاية فيما مر

ومما ينقم عليه تأميره الحجاج ولكن الدولة تحتاج في إبانها واول نشأتها الى أمثال ذلك وهذا ابومسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية قتل ستمئة الف رجل صبراً وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير في الاسلام ومع ذلك فاني أعوذ بالله ان اقوم ذاباً عن الحجاج ومدافعاً عنه .

﴿ سيرة الوليد في دولته ﴾

وأما الوليد فكان أهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد « كان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحا ، وأعظمهم نفقة في سبيل الله ، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس واعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائداً، وكان يمر بالبقال

فيتناول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول بفاس فيقول: زد فيها فانك تربح » وهو الذي وسع مسجد النبي وذهب البيت

قال اليعقوبي « ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فأ فيه فبعث اليه بمئة الف مثقال ذهبا ومئة فاعل واربعين حملا فسيفساء ، وبعث الوليد الى خالد بن عبدالله القسري وهو على مكة بثلاثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة ، فكان أول من ذهب البيت في الاسلام وحج الوليد سنة ٩١ لينظر الى البيت والى المسجد وما أصلح منه والى البيت وتذهيبه »

وقال اليعقوبي « كان أول من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة ، وأول من أجرى على العميان والمساكين والمجذومين الارزاق »

وقال السيوطي في تاريخه للخلفاء « وكان مع ذلك (أي كونه جباراً ظلوما) يختن الايتام ويرتب لهم المؤدّبين » .

﴿ فتوحات بني أمية ﴾

ثم ان الدول تعرف أقدارها بآثارها ويقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التي تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب أمور الملك والرعية وتوطد دعائم العدل وانتشار العلم ودولة بني أمية قد أخذت من كل ذلك قسطا وضربت في كل ذلك بسهم

أما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مطلع لطامح . انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه في جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنم بنو أمية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا ، واتسعت ممالكه وغلب سلطانه ، وامتدت سطوته ، ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف في حوزة حكمه ، فملكوا مالم يملكه أحد من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم . فتحوا طرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش (كريد) ورودس وغيرها من جزائر البحر . وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطينية وضربوا السيف على أبوابها ، وافتتح السند محمد الثقفي أحد أبناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة ، وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم ، وحدود بلاد الهند ، وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ،

ودخل في حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة وطرابلس وتونس ومراكش والاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند . فمن يدانيهم من الملوك في سعة الملك ؟ ومن يباريهم في كثرة الفتوح ؟

﴿ استتباب امور الملك والرعية ﴾

ليس في سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هناك تأنق في أمور المملكة ، ونظر في أمور الرعية ، وقيام بمصالح العباد ، وتشمير في عمارة البلاد ، ولذلك كان الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا في أمور أهلها ليسوا عند ذوي الخبرة من أهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعيثون في الارض مفسدين . أما ملوك بني أمية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر في أمور العباد ، وكثرة الفتوح وعمارة البلاد ، حفروا الانهار ، وعمروا الطرق ، وشادوا المصانع ، واتقنوا المساجد ، وبذلوا الاموال ، وقضوا الحوائج ، وكشفوا المظالم ، وغمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان ، واجروا لهم الارزاق ، ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور وقد مر من ذلك شيء كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التي هي كالطل من الوابل (يتلى)

بشائر عيسى ومحمد (*)

(في العهدين العتيق والجديد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله . أما بعد فلا خلاف بين أحد من المسلمين أن أسفار أنبياء بني اسرائيل قد بشرت بالمسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلا ننكر على النصارى كثيرا مما يستشهدون به من العهد القديم على نبوة عيسى وكثير من أحواله وأخباره ، والذي ننكره عليهم إنما هو استشهادهم بالعهد القديم على صلبه وألوهيته. فتتميما لبحثي السابق في (القرابين والضحايا) (١) أردت أن آتي هنا على أعظم حجج النصارى من كتب اليهود على صلب المسيح وألوهيته وأظهر بطلانها واحدة بعد أخرى ، ثم آتي ببعض الدلائل على فساد كتب العهدين وأختم مقالي ببيان أن التوراة والانجيل الحاليين ـ وإن كان قد دخلهما التحريف والتبديل ـ لا يزالان يشتملان على كثير من البشائر الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النورالذي انزل معه أولئك هم المفلحون)

ولا يخفى على الباحثين أن أساس الديانه المسيحية انما هو العهد القديم

(*) رسالة للدكتور محمد توفيق افندي صدقي الطبيب بسجن طره بمصر

(١) نشرت رسالته المنوه بها في الجزء الاول من هذا المجلد

وما يستشهدون به منه على عقائدهم ولولاه ما كانت لهم حجة واحدة على عقيدة من عقائدهم التي يخالفوننا فيها ، فعلى العهد القديم مبنى اعتقادهم وهو أساس دينهم ، ولذلك كان البحث في هذه المسألة ونقضها بالدلائل نقضا للدين المسيحي الحالي كله من أساسه ، ولولا اعتداؤهم علينا في ديننا ما تعرضنالهم بشيء من مثل هذا فهم البادئون ، والبادئون هم الظالمون ، فنقول و بالله تعالى وحده نستعين :

﴿ الفصل الأول ﴾

في بيان فساد ما يستشهدون به على الصلب في العهد القديم

(برهانهم الأول) قالوا إن النبي دانيال أخبر في كتابه عن صلب المسيح وأن ذلك كفارة لذنب أمته وأنه خاتم النبيين ولا نبي بعده ، ومع أن اليهود ينكرون مسيحا إلا أن هذا الكتاب لا يزال عندهم وهم يعتقدون صحته (١) وهاك عبارة النبي دانيال في هذه المسألة . قال في الاصحاح التاسع من كتابه إن جبرائيل قال له (٩ : ٢٤ سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين • ٢٥ فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة • ٢٦ وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة و إلى النهاية حرب

(١) حاشية كتاب دانيال هذا يقول فيه صاحب كتاب (اظهار الحق) انه لم يكن مسلما عند اليهود القدماء قبل عيسى عليه السلام ولا في زمنه ولم تكن اليهود تعترف بنبوة دانيال أيضا وانما كان تسليمهم بصحة هذا الكتاب ونبوة دانيال بعد عصر عيسى عليه السلام وعليه فجميع ما يأتي في هذه الرسالة هو على فرض أن هذا الكتاب كان معترفا به بين اليهود القدماء وهو وان كان مسلما به عند جميع النصارى الاقدمين الا أن البروتستنت تعترف أنه قد زيد فيه الاصحاح الثالث عشر والرابع عشر وكذلك نشيد الفتيان الثلاثة المقدسين فلذا حذفوا هذه الاشياء من نسخهم ولكن أبقاها الكاثوليك للآن عندهم

فلا يبعد أنه قد زيد فيه أشياء أخر ودخلت في أصله العبري قبل أن تعترف به اليهود ويعولوا عليه فتبطل عليهم هذه الزيادات فيما بعد (راجع الفصل الثالث من هذه الرسالة)

وحزن قضى بها ٢٧ ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) وقبل تفسير هذه العبارة نأتي هنا على نبذة تاريخية في هذه المسألة فنقول

إعلم أن الله تعالى سلط على اليهود بختنصر ملك بابل بسبب عصيانهم وتمردهم فجاربهم عدة مرات وأخذ في أول مرة بعضهم أسرى الى بابل وفيهم دانيال النبي وفي آخر مرة سبى أكثر الشعب واخذ الملك صدقيا وقتل أولاده وأحرق الهيكل المقدس وخرب المدينة وكانت مدة هذا السبي سبعين سنة ، وكان اتيان بختنصر إليهم في المرة الاخيرة سنة ٥٨٨ قبل الميلاد وفي سنة ٥٣٦ ق . م . أذن كورش (وهو مؤسس المملكة الفارسية) برجوع اليهود من بابل وكان ذلك في السنة الاولى من ملكه فلما رجع اليهود إلى أورشليم شرعوا في بناء الهيكل وفي بناء بيوت لهم وتوفي كورش بعد أن حكم ٧ سنوات فقط وقد تم بناء بيت الله (الهيكل) في السنة السادسة من ملك داريوس (راجع سفر عزرا ٦ : ١٥) و بعد ٦٩ سنة من صدور أمر كورش برجوع اليهود الى أورشليم لبناء بيت الله وسكناهم فيها ولد لليهود في بابل رجل صالح تقي يدعى (نحميا) ولما كبر عين ساقي الملك أرتحشستا ولما بلغه أن سور أورشليم متهدم وابوابها لا تزال محروقة بالنار حزن وتكدر (راجع سفر نحميا ١ : ٣) وبكى ودعا الله كثيرا ولما رآه الملك كئيبا حزينا ارسله الملك إلى أورشليم لبناء سورها وعينه حاكما عليها وكان ذلك في سنة ٤٤٥ ق . م وعمره نحو ٢٣ سنة وكمل هذا السور في ٥٢ يوما وصار عزرا الكاتب يعلمهم شريعة موسى ليعملوا بها واحتفلوا بأعيادها وأول عيد كان عيد المظال ومدته سبعة أيام في الشهر السابع (نحميا ٨ : ١٨)

وحكم نحميا في أورشليم ١٢ سنة و بعد ذلك عاد إلى بلاد فارس إلى حين، وفي مدة غيابه خالف الشعب شريعة الله وتزوجوا بالنساء الوثنيات (نح ص ١٣) فلما رجع إليهم أصلح هذه الامور و بقي فيهم مصلحا إلى أن مات أو قتله بعض أعدائه (راجع ص ٦ من كتابه) والراجح أن عمره كان ٦٢ سنة فان آخر عمل عمله كان في السنة الخامسة عشرة من حكم داريوس نوثاس أي سنة ٤٠٨ ق . م

ثم مات سنة ٤٠٥ ق. م وبعد موته لم يعين ملك فارس على أورشليم أحدا من اليهود لان بلادهم صارت جزءاً من ولاية الشام فكان الحبر الاعظم يمارس الامور السياسية والدينية معا من قبل والي الشام وبعد مدة الفرس صارت أورشليم إلى اليونان واستقلت زمنا في عهد المكابيين وهم كهنة من سبط لاوي ومن عشيرة هارون ثم خضعت للرومان وفي أيام الرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد حاربهم (تيطس) بعد أن كان طلب منهم أن يسالموه ويعاهدوه ولا يأخذ منهم خراجا سبع سنين وكان أمر بابقاء الهيكل فاخذ احد الرومانيين نارا وألقاها في الهيكل فاشتعل الخشب وأمر تيطس أن يوقفوا النار ولكن تهافت الرومان على النهب والسلب والتخريب وبعد أن شتتوا اليهود منعوهم عن السكنى في أورشليم وبقي هذا المنع مدة إلى أن رفع ببذل المال فرجع إليها حينئذ كثير من اليهود وحسنوها وشيدوها

وكان قد بلغ الامبراطور أدريانوس أن اليهود يحصنون المدينة ليخرجوا عن طاعته فأرسل عساكره فقتل اكثرهم وخرب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحا إشارة الى ابادتها وفي هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت قوة اليهود وانتشروا في الاقطار ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة وكانت هذه الحرب سنة ١٣٢ بعد الميلاد وبذلك تمت نبوة المسيح عليه السلام إذ قال (لا يترك حجر على حجر) « راجع تاريخ القدس لخليل افندي سركيس »

ثم دخل الفرس أورشليم سنة ٦١٤ ميلادية وخرجوا منها سنة ٦٢٨ أي بعد أن مكثوا فيها ١٤ سنة منعوا فيها أضطهاد النصارى لليهود فبطل إلقاء قاذورات النصارى في الهيكل عنادا لليهود وباعوا النصارى الذين في أورشليم لليهود وأحرقوا الكنائس ونزعوا خشبة الصليب من أورشليم وأرسلوها الى فارس

وفي سنة ٦٣٦ ميلادية أخذ المسلمون القدس وطهروه وبنى عمر رضي الله عنه مكانه المسجد الاقصى وصار اليهود في حمى الاسلام واستراحوا من ظلم المسيحيين وصاروا أحرارا في دينهم يسوسهم الاسلام جميعا بعدله ورحمته، وصار هذا المسجد معبدا للمسلمين ولمن يدخل في دينهم من أهل الكتاب ونجت أورشليم من الخراب وعاد اليها المجد والعمران والاكرام وكثرت ذبائح المسلمين فيها في عيد الاضحى

تذكارا لحادثة ابراهيم خليل الله وتمت نبوة حجي حيث قال (٢ : ٦ قال رب الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والارض والبحر واليابسة ٧ وأزلزل كل الامم ويأتي مشتهى (١) كل الامم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود ٨ لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود ٩ مجد هذا البيت الاخير يكون أعظم من (مجده) الاول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود . فمن تخريب الرومان لأورشليم وتشتيت اليهود سنة ١٣٢ الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٢ تكون المدة ٤٩٠ سنة ولا يخفى أن الهجرة النبوية هي مبدأ التشريع الاسلامي ومبدأ عظمة النبي وظهور أمره وأيضا من سنة ١٣٢ الى دخول المسلمين أورشليم سنة ٦٣٦ تكون المدة ٥٠٤ سنين فاذا طرحنا منها ١٤ سنة وهي مدة الفرس التي فيها استراح اليهود من ظلم الرومانيين والمسيحيين تكون مدة الظلم والاضطهاد الخالصة هي ٤٩٠ سنة كان فيها اليهود في أتعس الحالات وأسوإها فكأنه بعد ٤٩٠ سنة من تشتت اليهود عظم شأن الاسلام وظهر أمره وأيضا بني الهيكل وعاد المجد لبيت الله وأنقذ اليهود من الظلم والاضطهاد وصاروا يرتعون حول هيكلهم في حمى الاسلام وحريته

هذا وقبل البدء في تفسير نبوة دانيال أقدم مقدمة أخرى وهي ان الاسبوع في اللغة العبرية والعربية معناه سبعة فهناك أسبوع أيام وأسبوع شهور وأسبوع سنين والاسبوع من الطواف هو سبع مرات وهكذا والقرينة هي التي تعين المراد ثم إن أعظم أعياد اليهود ثلاثة، عيد الفطير وهو أسبوع أيام وعيد الاسابيع وهو بعد سبعة أسابيع من الايام وعيد المظال وهو أسبوع أيام أيضا والسنة اليوبيلية كانت بعد سبع مرات سبع سنين . واليوم من أيام قضاء الله وعقابه لليهود بسنة كما في سفر العدد ص ١٤ عد ٣٣ (وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ٣٤ كعدد الايام التي تجسستم فيها الارض أربعين يوما للسنة يوم) أما في غير ذلك ليوم هو اليوم المعتاد . واذا قيل للمسلمين مثلا (بعد خمسين عيدا من أعيادكم

(١) حاشية في الاصل العبري (مشتهى) حمدوت أي الذي تحمده الامم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله أعطي السلام اشارة الى تحية المسلمين بقولهم السلام عليكم

يحصل لكم كذا وكذا) كان المعنى بعد خمسين سنة لان أي عيد من اعيادنا لا يتكرر في السنة الواحدة وكذلك عند اليهود فاذا قيل لهم (بعد خمسين فصحا) كان المعنى (بعد خمسين سنة) ولما كان أعظم أعيادهم أسبوع أيام جاز أن يقال لهم (بعد خمسين أسبوعا) أي من هذه الاسابيع العيدية يحصل كيت وكيت والمعنى بعد خمسين سنة . وعليه فالاسبوع في مقام القضاء والجزاء غيره في مقام الفرح والسرور والاول بمعنى اسبوع سنين والثاني بمعنى اسبوع أيام من أسابيع الأعياد وهي لا تتكرر في السنة الواحدة فبعد اسبوعين منها أو ثلاثة مثلا يراد به بعد سنتين أو ثلاثة لان كل اسبوع منها يقع في سنة واحدة . اذا علمت ذلك فاسمع الآن معنى نبوة دانيال :

كان دانيال مع الاسرى في بابل وكان حزينا جدا لاجل حالة أمته وكان يعلم أنه لابد لأمته أن تقضي سبعين سنة في الاسر والذل فكان يسأل الله تعالى دائما أن يعيد مجد أورشليم ويعمر خرابها ويبني بيتها ويمتق أمته من الذل والاسر فأخبره الله تعالى بما سيحصل لأورشليم ولأمته وبأنه قضى عليها قضاء آخر اطول من قضاء السبعين سنة فقال ٩ : ٢٤ (سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة) والسبعون أسبوعا في مقام القضاء والجزاء هي ٤٩٠ سنة كما قلنا قضاها الله تعالى على بني اسرائيل وعلى مدينتهم أورشليم وهي تبتدئ من سنة ١٣٢ التي فيها تلاشت كل قوة لهم وتبددوا في الارض ولم تقم لهم قائمة ومحيت مدينتهم محوا تاما وتنتهي بسنة ٦٢٢ التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها كل أمره وعظم شأنه أو سنة ٦٣٦ وهي سنة فتح المسلمين لأورشليم أي بعد إسقاط ١٤ سنه وهي المدة التي استراح فيها اليهود من ظلم النصارى واستراح فيها الهيكل المقدس من إلقاء القاذورات والنجاسات فيه حينما استولى الفرس على بيت المقدس فالمدة من سنة ١٣٢ إلى هجرة المصطفى سبعون اسبوعا من السنين ومن هذه السنة أيضا إلى فتح أورشليم سبعون أسبوعا بعد اسقاط السنين التي استراح فيها اليهود من الظلم والاضطهاد ثم قال (لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم) فالكلمة المترجمة هنا بتكميل المعصية أصلها في العبري يفيد معنى التغطية

والستر. والكفارة هي الغفران والستر كذلك والمعنى: أن معاصي اليهود وأعمالهم السيئة تنهي في مدة السبعين أسبوعا وتبطل لشدة ضعفهم وتبددهم وذلك أنهم في زمن المسيح عليه السلام كذبوه وعصوه وحاولوا قتله وصلبه وكان يقول لهم كما في متى ٢٣ : ٣٢ (فاملأوا انتم مكيال آبائكم ٣٣ أيها الحيات أولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ٣٤ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ٣٥ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح — الى قوله — ٣٨ هوذا بيتكم يترك لكم خرابا) فلم يكن ذنبهم اكمل في زمن المسيح عليه السلام. وهذا التعبير العبري قد ورد مثله في سفر التكوين في مقام آخر فقال (١٥ : ١٦ وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا لأن ذنب الاموريين ليس الى الآن كاملا) وقال في سفر دانيال (٨ : ٢٣ عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه) وبعد زمن المسيح صاروا يملأون مكيال آبائهم بقتل بعض الحواريين واضطهادهم وإخراجهم من مدينة إلى أخرى وإيذائهم المسيحيين وبعد حرب طيطس عادوا إلى أورشليم وحسنوها وشيدوها. ولما ظهر منهم مدعي النبوة كذبا وهو الذي سمى نفسه (المسيح بن الكوكب) انضموا إليه وأيدوه وفتكوا بكثير من النصارى وجاءهم كثير من اخوانهم المشتتين في الآفاق وحاربوا الرومان فغلبوا وقتل مسيحهم هذا. وأخذ كثير منهم أسرى ومنعوا من الاقتراب من مدينة أورشليم إلا يوما واحدا في السنة لينوحوا على خرابها وكان ذلك في سنة ١٣٢ وحينئذ كان قد كمل ذنبهم ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة لشدة ضعفهم وتفرقهم وذلهم وتشتتهم في جميع الآفاق تشتتا لم ترجع لهم بعده أدنى قوة في أورشليم على الرومان ، ففي مدة السبعين أسبوعا انتهت معاصيهم بمعنى أن كملت و بطلت آثامهم وأصبحوا أذلاء مضطهدين مبددين معذبين وذلك هو جزاؤهم على ذنوبهم وتكفير لآثامهم الماضية بصفتهم أمة ومن آمن منهم بمحمد عليه السلام غفر له ما تقدم من ذنبه في الدنيا والآخرة . قال تعالى في القرآن الشريف « إن احسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة

ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا ؛ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

ثم قال جبريل لدانيال (وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم والبر الأبدي هو الدين الاسلامي الذي بدأ يظهر و يعلو وتوحى شرائعه العالية بعد سنة ٦٢٢ التي كانت فيها الهجرة النبوية و بمحمد صلى الله عليه وسلم ختمت الرؤيا والنبوة كما قيل لدانيال فالسبعون أسبوعا بدأت بعد أن كل اثم اليهود سنة ١٣٢ التي بعدها زالت منهم كل قوة وأصبحوا أذلاء وتمت بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فتح خليفته أورشليم و بنى بيتها المقدس وعمره بعبادة الله ومنع الظلم والأذى عن اليهود وصاروا فيها أحرارا إلى اليوم فكأن الله تعالى قال لدانيال إني سأجيب دعاءك لليهود ولمدينتهم ، لكن ذلك بعد أن اقتص منهم على ذنوبهم وأكفرها عنهم بتعذيبهم سبعين أسبوعا وهو القضاء الآخر الذي قضيته عليهم غير قضاء السبعين سنة التي أسروا فيها في بابل

ثم بدأ الله تعالى يبين له حال أمته وما سيحصل لها بعد نجاتها من أسر بابل الى حين مجيء هذا القضاء الثاني عليهم . وانه بعد هذا القضاء الثاني يمكنهم أن يسكنوا في أورشليم حول هيكلهم في حمى الاسلام آمنين مطمئنين و يبنى هذا الهيكل لعبادة الله تعالى و يعود اليه مجده كما أنبأ بذلك حجي الذي سبقت نبوته هنا فقال جبريل لدانيال (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها) وهذا الامر قد خرج من كورش سنة ٥٣٦ قبل الميلاد برد اليهود الى أورشليم و بناء هيكلها الذي هو أعظم شيء فيها ولذلك قال لتجديد أورشليم و بنائها فكأنه إذا بني الهيكل فقد تجددت أورشليم و بنيت وعمرت لانه صرح لهم بالرجوع اليها والسكنى فيها فن الضروري أن يبنوا لهم فيها بيوتا فتعود المدنية كما كانت. وقوله (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر الخ) يشعر بأن هذا الامر كان قد خرج في زمن دانيال وعلم به وهذا صحيح فان دانيال مات بعد صدور هذا الامر بسنتين أي في سنة ٥٣٤ ق.م ولو كان هذا الامر صدر بعد مماته كما تقول النصارى لقال له (فاعلم وافهم انه سيخرج

أمر لتجديد اورشليم وبنائها ومن بعد هذا الامر إلخ إلخ) فمن خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها وبناء هيكلها (إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) والمسيح الرئيس هو نحميا الذي ولاه ارتحشتا الملك حاكما على اليهود فبنى سور أورشليم وأصلح أمورهم وأقام شريعة موسى لهم وهو أعظم من ولي عليهم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود وأول من جدد مجد أورشليم وأعاد اليها رونقها القديم ولذلك قال الله عنه لارميا ٣٣ : ١٥ و١٦ (في تلك الايام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلا وبرا في الارض . في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تسمى به الرب برنا) وسمي نحميا بالمسيح الرئيس لانه كان ملكا لهم وكانوا يسمون ملوكهم مسحاء وكذلك الكهنة والانبياء والرؤساء لانهم يمسحونهم بالزيت أو الدهن عند ابتداء تعيينهم لخدمة الله أو الشعب (راجع سفر الخروج ٤٠ : ١٩ إلى ١٥) وسمي كورش أيضا (مسيح الرب) كما في أشعيا (٤٥ : ١) وقيل في سفر أخبار الايام الاول ١٦ : ٢٢ (لا تمسحوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي) وقال في سفر الملوك الاول ٥ : ١ (وأرسل حيرام الى سليمان لانه سمع أنهم مسحوه ملكا) أي ولوه وقال في ١ ملو ١٩ : ١٦ (وامسح إليشع نبيا عوضا عنك) . وسمي عيسى بن مريم بالمسيح لانه أعظم من بعث بعد موسى من أنبياء بني اسرائيل وأفضل من جميع كهنتهم وملوكهم

وقوله (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) معناه ٦٩ سنة لان الاسبوع هنا غيره في مقام القضاء والجزاء فيراد به أسبوع الفرح والسرور أي الاعياد لان أعظم أعيادهم كانت أسبوعية كما سبق وكل أسبوع من أسابيع الاعياد يقع في سنة ولا يتكرر فيها فيكون المراد بالاسبوع السنة كلها فكأن باقي السنة الخالي من الاعياد الاسبوعية لاقيمة له ولا يحسب عليهم . ومن عرف قدر فرح اليهود وسرورهم لخلاصهم من أسر بابل وعودتهم الى مدينتهم وأنهم حفظوا عيد المظال وغيره في أورشليم كما كانوا يحفظونه من قبل (راجع سفر عزرا الاصحاح الثالث والسادس) علم معنى التعبير عن السنة هنا بالاسبوع كأن السنة كانت تمضي

عليهم كما يعني أسبوع العيد هذا اذا صح أن أصل العبارة كانت كما وصلت الينا ويجوز أن يكون وقع فيها سهو أو خطأ من الكاتب فكتب هنا بدل سنين وسنة أسابيع وأسبوعا قياسا على الجملة السابقة وهي قوله سبعون أسبوعا والاعتذار عن مثل ذلك بخطأ الكاتب معهود عند النصارى في ألوف الغلطات الواقعة في كتبهم المقدسة (راجع كتاب خلاصة الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية صفحة ٥٦ ـ ٥٩ و ١٠٢)ولعل في قوله (سبعة أسابيع و إثنان وستون أسبوعا) إشارة الى مدة حكم (كورش) فانه أصدر أمره في السنة الاولى من حكمه ومات بعد سبع سنين ولما كان هذا الملك عادلا محبوبا مبجلا عندهم حتى دعته كتبهم مسيح الرب كما سبق كان جديرا بأن تعرف مدة حكمه وتمتاز عن غيرها تذكارا له واجلالا لمقامه . وانما عبر في هذه النبوة بالاسابيع بدل السنين لان المعتاد في جميع نبوات المهدين أن يوجد فيها مثل هذا الغموض كما قلنا وكون المراد بالاسابيع هنا السنين مسلم به عند النصارى واليهود فهو ليس تأويلا خاصا بنا . ومن صدور هذا الامر الى ولادة نحميا ٦٩ سنة كما سبق بيانه في النبذة التاريخية

ثم قال (يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) ومعنى ذلك عندهم بناء نحميا للسور حول أورشليم كما تقدم . وفي الترجمة الانكليزية بدل هذه الجملة (يعود ويبني الشارع والسور في أزمنة مضايقة) وذلك لانهم كانوا محاطين بكثير من الأعداء الحاقدين عليهم المهددين لهم الواشين بهم كما يعلم من سفر نحميا (وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له) أي و بعد ٦٢ سنة من ولادة نحميا يموت أو يقتله أعداؤه كما سبق فعمره كان ٦٢ سنة فقط وقوله (وليس له) (١) معناه ليس له ولد أو ليس له وارث فانه لم يبن عليهم أحد بعده واليا وكان نحميا من الاشراف ومن بيت داود ومع ذلك لم يذكر في الكتاب المقدس أنه كان له أولاد

(١) حاشية قال أرميا في مراثيه ٥ : ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين) ومن وضع بعض كلمات هذه العبارة في الترجمة الانكليزية بأحرف ايطالية (Italic) يفهم أن الاصل العبري كان (آباؤنا أخطأوا ليسوا) فالظاهر أن الايجاز في العبرية يكون بحذف بعض كلمات تفهم من المقام كما هو في العربية في نحو قوله تعالى (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) ويوجد لذلك أمثلة أخرى كثيرة في اللغتين وفي القرآن وفي كتبهم المقدسة

فهذه العبارة تشبه قوله في سفر التكوين ٣٨ : ٩ (فعلم أونان أن النسل لا يكون له) ويحتمل أنه سقط من الكاتب خطأ لفظ (ولد) وكان الاصل (وليس له ولد) وأمثلة سقوط كثير من الالفاظ من الكتاب المقدس كثيرة تراجع في كتاب إظهار الحق في فصل اثبات التحريف بالنقصان . ولنا أن نقول فيها أيضا نحو مايقول النصارى أن نحميا قتله أعداؤه الكثيرون بعد أن فكروا في ذلك كما يفهم من سفره (اصحاح ٦ : ١٠ - ١٤) ولم يقتل لاجل نفسه أي في سبيل مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية بل قتل في سبيل المصلحة العامة ونفع الامة فلم يكن أعداؤه ينقمون منه سعيه في سبيل نفع نفسه بل سعيه في نفع أمته وتقويتها والمحافظة عليها و بناء سور أورشليم وتحصينها ضد أعدائها فهو قتل لامته ولم يكن قتله لاجل نفسه أي لتحصيل منفعة خاصة به، و بعد موت نحميا كان اليهود حصلوا على شيء مما فقدوه من القوة ولكنهم بقوا في بلادهم خاضعين للاجانب الازمنا يسيرا الى أن حاربهم (طيطس) الروماني سنة ٧٠ بعد الميلاد ولذلك قال (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة والى النهاية حرب وخرب قضي بها) وقد خرب القدس (طيطس) وقتل منهم الالوف كما قال (ويثبت عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد) وفي الترجمة الانكليزية (لاسبوع واحد) والمراد بالاسبوع هنا أسبوع سنين لانه ذكر في مقام القضاء والجزاء والمعنى كما قال علماء اليهود أن طيطس طلب منهم أن يسالموه ويقطعوا معه عهدا ولا يأخذ منهم خراجا المدة سبع سنين فخرج إليه كثير من كبراء اليهود فأمنهم وكان ينصحهم بعدم العصيان وأظهر لهم أنه لا يريد تخريب الهيكل ، ولما علم العصاة منهم بخروج كبرائهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم وأمر طيطس بابقاء الهيكل ولكن ألقى عليه أحد الرومانيين نارا فأحرقه وكان طيطس يسعى في إطفاء النار ولكن الرومانيين كانوا ينهبون ويقتلون ويخربون (وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة) لاحراق الهيكل وإبادته وقد بدأت حرب الرومان لهم سنة ٦٨ وتم خذلانهم باحراق هيكلهم في أواخر سنة ٧٠ أي في نحو ٣ سنين فأبطل الرومان الذبيحة والتقدمة في وسط الأسبوع . وكان (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير مع طيطس وينصح أمته ويقول لهم (أني لست أعجب من خراب هذا البيت وهذه

المدينة لكنني أعجب منكم وأنتم تقرأون كتاب دانيال النبي وتعلمون ما ذكره من إبطال الذبيحة وزوال التقدمة وترون ذلك قد صح وثبت) فلم يسمع عصاة اليهود له وهذا يدل على أن المراد بما ذكر في كتاب دانيال هو ما قلناه هنا وكذلك قوله (وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) وقرئ في بعض النسخ العبرية وفي الترجمة السبعينية (وفي الهيكل رجسة الخراب) وفي ترجمة الكاثوليك (تقوم رجاسة الخراب وإلى الفنا المقضي ينصب غضب الله على الخراب) وقال المسيح عليه السلام كما في انجيل متى (٢٤ : ١٥ فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس إلخ) فكل ذلك يدل على أن المراد بما ذكر في نبوة دانيال هو حرب الرومان لليهود لا صلب المسيح الذي يدعى النصارى أنه أبطل به الذبيحة والتقدمة فانها لم تنته بعد صلبه بل كان اليهود يحافظون عليها حتى خرب الهيكل وأحرق فبطلت حينئذ على أننا لا ندري لماذا يبطل الصلب الذبيحة والتقدمة فإن كانت تعمل قبله رمزا إليه فلماذا لا تعمل بعده للتذكير به ؟ فان قيل إنها بعد الصلب لم يبق لها فائدة في غفران الذنوب قلت وكذلك هي قبل الصلب كما يزعمون فان الغفران لم يكن حينئذ لأجلها بل لأجل الصلب المنتظر كما يدعون (راجع مقالة القرابين والضحايا)

وبعد حرب سنة ٧٠ بمدة قليلة عاد اليهود الى أورشليم وبنوا وشيدوا ولا يبعد أنهم أقاموا محرقات في الهيكل وإن كان خربا كما أقامها الذين أتوا من بابل قبل بنائهم للهيكل الذي كان أحرقه بختنصر وخربه كما في سفر عزرا (٣ : ٦) ولكن بعد حرب سنة ١٣٢ محيت مدينتهم وتشتتوا في الأرض ومنعهم الرومان من الاقتراب من أورشليم وبعد سبعين أسبوعا قضيت عليهم وعلى مدينتهم جاء الاسلام فبنى بيت المقدس وأمن اليهود من ظلم المسيحيين وايذائهم لهم وانصب غضب الله على المخرب (دولة الرومان) فأزال ملكها المسلمون من الأرض المقدسة وغيرها

وفي قوله (وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضي بها) إشارة إلى دوام الحرب مدة طويلة فانه بعد ٧٠ سنة أتى الرومان سنة ١٣٢ وأهلكوا اليهود وشتتوهم ومحوا مدينتهم محوا تاما

أما قول النصارى (إن السبعين أسبوعا) تبتدىء من صدور أمر أرتحشتا لنحميا بالرجوع إلى أورشليم لبناء سورها فغلط لعدة وجوه

(١) إن نص عبارة دانيال أن الأمر كان لبناء أورشليم وبناء السور ليس بناء لأورشليم فان أورشليم كانت بنيت قبل نحميا لان هيكلها بني وبنيت بيوت اليهود حوله للسكنى فيها ولم يبن نحميا سوى السور كما هو ظاهر من كتابه والدليل على أن البيوت كانت مبنية قوله في كتابه ٣ : ٢٨ (وما فوق باب الخيل رممه الكهنة كل واحد مقابل بيته) وفي هذا الأصحاح يذكر بيوتا أخرى فالبيوت كانت مبنية قبل مجيء نحميا ولذلك قال ١ : ٣ (وسور أورشليم متهدم وأبوابها محروقة بالنار) فهو أصلح السور فقط وأبوابه وأما قوله للملك ٢ : ٣ (والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وأبوابها قد أكلتها النار) فالمراد به سورها وإنما أورده كذلك مبالغة ليرثي الملك له وليشفق عليه فيرده إليها

(٢) قوله (من خروج الامر لتجديد أورشليم) يشعر بأن هذا الامر يعلمه دانيال وهو الواقع كما بينا وعلى قول النصارى يكون حصل بعده وما كان يعلمه وهذا مخالف مفهوم عبارته

(٣) إنهم إختلفوا في تاريخ صدور هذا الأمر فقال بعضهم إنه صدر من أرتحشتا لنحميا سنة ٤٤٤ أو سنة ٤٤٥ وقال آخرون سنة ٤٥٤ فعلى القول الاول تكون نهاية السبعين اسبوعا سنة ٤٦ بعد الميلاد أو سنة ٤٥ وفي هذه السنة كان قد مات المسيح لان عمره كان ٣٣ سنة وعلى القول الثاني تكون نهاية السبعين اسبوعا سنة ٣٦ ميلادية وهي بعد موت المسيح بثلاث سنين

(٤) قوله (من خروج الامر إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون اسبوعا) قال فيه صاحب كتاب الهدايه إنه فصل السبعة أسابيع وحدها لانها مدة بناء أورشليم وهو خطأ لان سور أورشليم تم في ٥٢ يوما ولم يبن نحميا غيره (نح ص ٦ : ١٥)

(٥) قول دانيال (يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) صريح في أن المراد بالمسيح هنا هو نحميا فقد حصل ذلك في زمنه

(٦) قوله (وبعد ٦٢ اسبوعا يقطع المسيح) لا يفهم أيضا معناه على قولهم لانه لم يقطع بعد مجيئه باثنين وستين اسبوعا وتفسيرهم لها في غاية الركاكة والتعسف كما لا يخفى على من نظر كتبهم

(٧) قوله (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس الى قوله ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة الخ) صريح فيما ذهبنا اليه وفي حمله على المسيح عيسى عليه السلام تفكيك للعبارة وقلب لجملها بالتقديم والتأخير ومع ذلك فالمسيح لم يبطل الذبيحة والتقدمة كما بينا ولم يثبت عهدا مع كثيرين لأسبوع أوفي أسبوع لان مدة نبوته كانت ثلاث سنين فقط

(٨) من تأمل في هذا الاصحاح كله علم أن دانيال كان يطلب من الله أن يرأف بأورشليم ويرحم أمته فجاء جواب جبريل على قولنا بأنها ستعمر من تاريخ صدور الامر الى حين تخريب الرومان لها وفي هذه المدة يعين نحميا (وهو المسيح الرئيس) فيحصنها ويبني سورها ، وبعد تمام تخريب الرومان لها تمكث سبعين أسبوعا على تلك الحالة ثم يأتي البر الابدي لامته ويغفر ذنبها ويمسح قدوس القديسين (محمد) وهو الذي تعيد أمته لها العمران والمجد وأما على قول النصارى فيكون جواب جبريل لدانيال أن مدينتك ستمكث سبعين أسبوعا وبعدها تخرب خرابا أبديا فأي الجوابين هو الانسب لطلب دانيال ودعائه وصلواته ؟ وقوله ان السبعين اسبوعا قضيت عليهم يشعر بأنها أسابيع عذاب وخراب كما هو قولنا لا أسابيع راحة وعمران كما هو مقتضى قول النصارى والخلاصة أن تفسير النصارى لعبارة دانيال ركيك ومتكلف فيه وغلط وفيه من التعسف والخلط والخبط مالا يخفى على بصير

(برهانهم الثاني) قالوا ان أشعيا النبي أخبر بحادثة الصلب وبحمل المسيح ذنوب الناس وبتقديم نفسه كفارة عنهم وذلك حسبما ورد في الاصحاح الثالث والخمسين من سفره

ونقول ان هذا الاصحاح متصل بالاصحاح الثاني والخمسين الذي قبله وكلاهما في موضوع واحد لاعلاقة له البتة بالمسيح عليه السلام وموضوعهما أمر بني اسرائيل الى بابل فهما نبوة عن حصول الاسر وعن نجاة بني اسرائيل منه قال ٥٢ : ١

(استيقظي استيقظي البسي عزك ياصهيون البسي ثياب جمالك يا أورشليم ....
انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون ٣ فان هكذا قال الرب مجانا بعتم وبلا
فضة تفكون ٤ لانه هكذا قال السيد الرب الى مصر نزل شعبي أولا ليتغرب هناك
ثم ظلمه أشور بلا سبب ٥ فالآن ماذا لي هنا يقول الرب حتى أخذ شعبي مجانا
الى قوله ٨ .... عند رجوع الرب الى صهيون ٩ أشيدي ترنمي يا أورشليم لان
الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم ١١ اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا
شيئا نجسا اخرجوا من وسطها تطهروا ياحاملي آنية الرب ١٢ لانكم لا تخرجون
بالعجلة ولا تذهبون هاربين لان الرب سائرا أمامكم وإله اسرائيل يجمع ساقتكم
١٣ هوذا عبدي يعقل ويتعالى ويرتقي ويتسامى جدا) والمراد بالعبد هنا شعب
إسرائيل فان الكتاب المقدس يتكلم عنه كثيرا كشخص مفرد فمن ذلك قوله في
سفر أشعيا هذا ٤١ : ٨ (وأما أنت يا اسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل
ابراهيم خليلي .... وقلت لك أنت عبدي اخترتك) وقوله ٤٣ : ١ (يقول الرب
خالقك يا يعقوب وجابلك يا اسرائيل .... ٢ اذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي
الانهار فلا تغمرك ٣ لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر
فديتك - ١٤ كما اندهش منك كثيرون . كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل
وصورته أكثر من بني آدم) وذلك اشارة للشعب ولتشوهه في بلاد الغربة وهو
أسير ذليل ولما أخذوا لبابل مات كثير منهم ومن رجع من اولادهم كان منظره متغيرا
٥٣ : ٢ (نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة) وهذا إشارة لآبائهم الذين
كانوا في التيه فأبناؤهم الذين حضروا الى الارض المقدسة نبتوا في الارض اليابسة
كما قال أرميا النبي ٢ : ٦ (الذي أصعدنا من مصر الذي سار بنا في البرية في أرض
قفر وحفر في أرض يبوسة ٧ وأتيت بكم الى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها) وهذا
لايفهم له معنى في حق المسيح عليه السلام ثم قال ٥٣ : ٢ (لاصورة له ولاجمال)
فلما أتوا من التيه الى الشام كانت صورتهم متغيرة كتغيرها بعد أسر بابل من
الذل والفقر والمشاق وغير ذلك ٥٣ : ٣ (محتقر ومخذول من الناس) لانهم كانوا
أسرى أذلاء ضعفاء وقوله ٦ (والرب وضع عليه اثم جميعا ٧ ظلم أما هو فتذلل)

يفسره قول النبي أرميا الذي شاهد بنفسه حادثة أسرهم الى بابل فقال في مراثيه ٥: ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم ٨ عبيد حكموا علينا . ليس من يخلص من أيديهم ١٠ جلودنا اسودت كتنور من جرى نيران الجوع) وهذا كقول أشعيا فيما سبق لاصورة له ولاجمال الخ ١١ (أذلوا النساء في صهيون العذارى في مدن يهوذا) وقوله ظلم هو كقوله في الاصحاح الذي قبله ٥٢ : ٤ (ثم ظلمه أشور بلاسبب) وقوله (كشاة تساق الى الذبح) معناه أن ملك بابل ساقهم وهم أسرى كما تساق الشاة الى الذبح وقدمات أكثرهم هناك من الاضطهاد والتعذيب والقتل والجوع والتعب وغيره مما حل بهم ثم قال ٥٣ : ٨ (وفي جيله من كان يظن انه قطع من أرض الاحياء انه ضرب من أجل ذنب شعبي) وقد سبق تفسير ذلك من مراثي أرميا ٩ (وجعل مع الاشرار قبره ومع غني) لانهم كانوا يدفنون مع الوثنيين وهم أغنياء في بابل مدة سبعين سنة وأما المسيح فدفن وحده في قبر جديد في بستان لم يدفن فيه أحد قبله (يو ١٩ : ٤١) ولم يكن معه أحد من الاشرار ولا من الاغنياء كما قال أشعياء عن بني اسرائيل مدة أسرهم هذه ١٠ (أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن) وصحة الترجمة أراد وفي نسخة الكاثوليك (رضي أن يسحقه بالعاهات إن جعل نفسه ذبيحة إثم) والنص العبري هكذا (أراد الرب أن يضربه بالحزن لانه جعل نفسه آثما) وهذا مثل ما سبق في مراثي أرميا وقال أشعياء أيضا ٥١ : ٩ (إثنان هما ملاقياك « وذلك خطابا لأورشليم » من يرثي لك ؟ الخراب والانسحاق والجوع والسيف. بمن أعزيك؟ ٢٠ بنوك أعيوا اضطجعوا في رأس كل زقاق) وقد لاقوا كل ذلك من ملك بابل فخرب أورشليم ومات منهم كثيرون بالقتل والجوع وغيرهما . ثم قال ١٠ (يرى نسلا تطول أيامه) إشارة لرجوعهم الى وطنهم وتناسلهم فيه . وأما المسيح فلم يكن له نسل حتى تصح هذه العبارة فيه

ثم قال (وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين . وآثامهم هو يحملها) وقد حصل ذلك فاضطهد البار منهم وعذب وأسر بسبب ذنب الاشرار منهم . قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أي تعم الصالح والطالح ويؤخذ البرىء بذنب المذنب في مثل هذه الاحوال . و يصح ان يكون المراد أن الشرير

منهم إذا أطاع الصالح وتاب واستقام تمحى ذنوبه فكأن الصالح حملها ورفعها عن عاتقه أي أزالها عنه بهدايته له . ثم إن الله تعالى في مثل هذه الاحوال ينجي الاشرار ولا يهلكهم إلا لأجل إكراما للابرياء الذين ظلموا معهم وأخذوا بذنبهم فكأنهم حملوا آثامهم عنهم وقد قال في أرميا ٥٠ : ٣٣ (إن بني اسرائيل و بني يهوذا مظلومون وكل الذين سبوهم أمسكوهم) وقال أيضا ار ٣٣ : ٧ (وأرد سبي يهوذا وسبي اسرائيل . . . ـ ٨ وأطهرهم من كل اثمهم وأغفر كل ذنوبهم) وقال أر ٥٠ : ٢٠ (في تلك الايام يطاب اثم اسرائيل فلا يكون وخطية يهوذا فلا توجد لأني أغفر لمن أبقيه) فأسرهم إلى بابل وهم مظلومون طهرهم من الذنوب والآثام تحملت عنهم وغفرت كلها والحامل لها هم المأسورون المسبيون .

وقوله ١٢ (وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين) صحة ترجمته (وللعصاة يدعو) أي يدعو الله لهم بالتوبة والهداية . فالكلام كله في شعب إسرائيل ولا علاقة له بالمسيح عليه السلام ومما يؤيد ذلك قوله فيما سبق (ضرب من أجل ذنب شعبي) فان أصله العبري (ضربوا من أجل ذنب شعبي) بالجمع لان الكلام في بني اسرائيل ولكن النصارى إلا أن يترجموها بالافراد ليحملوها على المسيح تحريفا منهم للكلام وكذلك قوله (أحصى مع أثمة) ينطبق على بني اسرائيل أكثر من انطباقه على المسيح فانهم عدوا في بابل مع الكفرة الوثنيين وأما المسيح فقالوا إن ذلك إشارة لصلبه مع اللصين وكذلك قال مرقس في إنجيله ١٥ : ٢٨ مع إن لوقا يقول ٢٣ : ٤٢ إن المسيح قال لاحدهما (إنك اليوم تكون معي في الفردوس) فكيف يكون هذا أثما فحينئذ لم يكن معه آثم سوى واحد فقط ولكن أشعياء يقول (وأحصي مع أثمة) فاذا قلنا إنه أظهر في قولنا منه في قولهم . على أن صلب اللصين عجيب غريب لان شريعة موسى لا توجب القتل على السارق إلا إذا سرق إنسانا ولا توجب عليه الصلب وإنما يعلق على الخشبة بعد موته (راجع خر ٢١ : ١٦ و ٢٢ : ١ وكذا تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣) والشريعة الرومانية لا يوجد فيها الصلب للصوص وهم أحياء بل كان الجلد عندهم عقاب

السارق فكيف صلب هذان اللصان وهما أحياء ؟ وبحسب أي شريعة كان ذلك ؟؟ وكيف يجمع بين قول انجيل مرقس ١٥ : ٣٢ ان اللصين كانا يعيران المسيح وقول لوقا ٢٣ : ٣٩ - ٤٣ إن الذي عيره واحد منهما ؟ فان قيل إنهما عيراه في اول الامر ثم تاب أحدهما . قلت هذا تلفيق واختراع لم يرد في الانجيل ما يشير إليه بل يفهم منه خلافه

وجملة القول ان الاصحاح الثاني والخمسين والثالث والخمسين لاعلاقة لهما بالمسيح مطلقا وهما مختصان بشعب اسرائيل . وما في الاصحاح الثالث والخمسين من التعبيرات والافكار المتعلقة بالفداء وحمل الآثام وعقاب البريء بذنب المذنب حمله اليهود المتنصرون في مبدأ المسيحية كبولس وأضرابه الى ديانتهم الجديدة فأدخلوا فيها هذه العبارات والافكار وطبقوها على المسيح ثم توسعوا فيها شيئا فشيئا حتى وصلت عقائدهم الى ما نعرفه عنهم اليوم ومما ساعد على انتشارها بين الناس وجود أمثالها عند الأمم الوثنية من قديم الأزمان كما أثبته صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فأفكار اليهود في الخلاص من مصر ومن بابل تحورت في المسيحية وولدت عقائد الصلب والخلاص والفداء فيها وبعد أن كانت هذه العقائد في مبدأ المسيحية صغيرة كما في الاناجيل فان مؤلفيها كانوا يفهمون أن المسيح يخلص شعبه من خطاياهم (متى ١ : ٢١) شبت ونمت حتى وصلت الى ما وصلت اليه في رسائل بولس (راجع مثلا الاصحاح الخامس من رسالته الى أهل رومية) وصار الخلاص لجميع البشر من ذنب أبيهم آدم ولم يقل ذلك المسيح ولا مؤلفوا الاناجيل ثم توسعوا في هذه الافكار وهذه الخيالات حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم مما نسمعه منهم ونقرأه في كتبهم التي صدعوا رؤوس العالم بها لاعجابهم بهذه العقائد التي لا تروق إلا لهم ولا تعجب الا عقولهم

(برهانهم الثالث) المزمور الثاني والعشرون وخصوصا قول داود عليه السلام فيه ١٢ (أحاطت بي ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتني الى قوله ١٦ ثقبوا يدي ورجلي ١٧ أحصي كل عظامي . وهم ينظرون ويتفرسون في ١٨ يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وفي النسخة العبرية بدل (ثقبوا يدي ورجلي) قوله (كأسد يدي ورجلي) ولذلك قال البروتستنت ان الكلمة المترجمة هنا (بثقبوا)

يراد بها أيضا كأسد . والسيد داود عليه السلام يشير في هذا المزمور الى حادثة وقعت اه وهي مذكورة في سفر صموئيل الاول (إصحاح ٢٩ و ٣٠) وكانت هذه الحادثة مع العمالقة في صقلغ وكان معه من بني اسرائيل جماعة ومنهم من أرضهم في باشان وهم الذين هموا برجمه لماسبيت نساؤهم وأولادهم (اصمو ٣٠ : ٤-٦) وقد سبيت امرأتاه أيضا فبكى هو ومن معه بكاء مرا ولكنه تشدد بالرب إلهه ودعاه بهذا المزمور فقوله (أقوياء باشان اكتنفتني) هم الذين كانوا معه من بني جاد ومن بني منسى لان أرضهم في باشان وهم الذين قالوا برجمه وقد سماهم ثيران (مز ٢٢ : ١٢) وقوله بعد ذلك (جماعة من الاشرار اكتنفتني) هم العمالقة الذين سبوا زوجتيه ولا بد أنهم أخذوا ملابسه معهم أيضا ولذلك قال ١٨ (يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وقوله (كأسد يدي ورجلي) اشارة لشجاعته وشدته وقد نصره الله على العمالقة واسترد منهم كل ماأخذوه . فأي علاقة لهذا بالمسيح ؟ نعم أنهم اخترعوا له أشياء تشبه بعض ماذكر في هذه الحادثة ليطبقوها عليه فقالوا ان العساكر اقتسمت ثيابه يوحنا (١٩ : ٢٣ و ٢٤) مع ان المسيح ما كان يلبس شيئا فاخرا لتقشفه وزهده ولا يعقل أن الولاة أعطوه وهو محكوم عليه لباسا نفيسا حتى تهتم العساكر بقسمته بينهم ولكن النصارى كما قال السيد جمال الدين (فصلوا ثوبا من العهد العتيق وألبسوه المسيح) فضلوا وأضلوا هداهم الله (يتلى)

اتفاقيات سرية (*)

﴿ على مراكش والعجم وطرابلس الغرب ﴾

من المعلوم ان في بلاد الانكليز حزبين كبيرين يعود تاريخ انشائهما الى مئات من السنين . وهذان الحزبان هما حزب الاحرار المتولي اليوم زمام الاحكام وحزب المحافظين . ومن المعلوم أيضاً ان سياسة اوربة في الوقت الحاضر تحوم حول قوتين هائلتين احداهما ألمانية ومناصروها من النمساويين وغيرهم والثانية انكلترة واصدقاؤها

(*) نقلا عن جريدة الافكار (عدد ٦١٥) التي تصدر في سان باولو (البرازيل)

من فرنسيين وغيرهم . وكل مايجري في العالم السياسي تكون علله ومعلولاته راجعة الى احدى هاتين الدولتين

ولا جرم أن توازن القوات هو مايحدو برجال السياسة المفكرين الى الخوف من نشوب حرب طاحنة بين تينك الدولتين وحليفاتهما على نحو ماجرى بين فرنسة وانكلترة في زمن نابوليون بونابرت وما جرى بين روسية وانكلترة في النصف الاخير من القرن الماضي . فان الحروب العظيمة التي افنت قوى أوربة على زمن بونابرت لم تكن سوى نتيجة معقولة لسبب كبير هو اختلال التوازن الدولي وسعي رجل أوربا العظيم نابوليون الاول (؟) لجعل فرنسة نقطة الدائرة في سياسة العالم يومئذ وقيام الانكليز بوجه ذلك النابغة خوفاً على الهند وسائر مستعمراتهم بل خوفاً على كيانهم أمة مستقلة تشغل المقام الاول بين الأمم . وما الحرب الروسية اليابانية الاخيرة سوى تكرار مافعله الانكليز مع نابليون الاول واعني ضرب مطامع الروس ضربة هائلة من قبل انكلترة وحليفاتها حتى تبقى الكفة الراجحة في جانب الانكليز وخصوصاً في المشاكل الاستعمارية

وبعد هذا التمهيد فانعد الى الحزبين الكبيرين عند الانكليز وهما الاحرار والمحافظون كما قلنا . فالمحافظون سقطوا بسبب حرب الترنسفال واصبحت الاكثرية في جانب الاحرار منذ ذلك الحين ولا يزال هؤلاء اصحاب الحول والطول حتى هذه الساعة . ومن المعلوم ان اختلاف الاحزاب السياسية ضروري لجلاء الحقائق وبقاء معارضة تكون شبه شكيمة تردع الحكام والمتقذين عن الانقياد الى اهواء النفس واميالها . والنفس امارة بالسوء . وهاانا اليوم في موقف حرج للغاية فقد اصبحت فيه اوربة مثل بركان امتلأ جوفه بكل معدات الهلاك الهائلة . والعياذ بالله من يوم ينفجر به ذلك البركان فانه سوف لايبقي ولا يذر والمسؤلية كل المسؤلية على المستلمين زمام الاحكام وخصوصاً في لندن وبرلين — أي حيث نرى قوتين هائلتين واقفتين بالمرصاد بعضهما لبعض وكل منهما تمد العدة وتبالغ في اتخاذ الاحتياطات لذلك اليوم العصيب أبعده الله عن العالم وابعد الحروب وويلاتها رحمة ببني الانسان

ولما كانت المسؤلية عظيمة كما قدَّمنا فلا غروَ اذا اكثر الباحثون من التدقيق والتمحيص تارةً بالنقد وطوراً بالنصح واخرى بالانذار والتحذير حتى تبتعد مخاطر الحروب عن اوربة فتقترب القلوب بعضها من بعض ويحدث التفاهم والسلام الذي هو ضالة العقلاء المنشودة ولا سيما في هذه الايام . ولا يخفى بان خطر الحرب كان قريب الوقوع في اواسط العام الماضي بين المانية وفرنسة بسبب مراكش ولولا ان الانكليز ابدوا

نواجذهم باخطار المانية بالانسحاب من مياه اقادير (القدير) والاتفاق مع فرنسة بمفاوضات حبية لقصفت اصوات المدافع ولعلع البارود واستلت السيوف من اغمادها ووقع المحذور الذي يسمى محبو السلم الى اتقائه

ولما انفرجت تلك الازمة الشديدة انبرى احرار الانكليز الى نقد وزارتهم الحاضرة وقام المعارضون يخطئونها ويظهرون للملأ مخاطر سياسة الاحرار الحاضرة فاكثروا من المباحث بهذا الصدد وما برحوا حتى الساعة يكتبون ويخطبون وينشئون قائلين — ولعلهم الحق فيا يقولون — ان الامر جليل والحادث جسيم ومن جراء غلطة سياسية صغرى ، قد يكون سقوط امم ونهوض أمم أخرى

ولا غرو اذا حامت مباحث المعترضين على مسألة مراكش ومسألتي العجم وطرابلس الغرب لان هذه المعضلات الاستعمارية هي سبب الخلاف وهي المحور الذي تدور حوله مفاوضات الدول العظمى في الوقت الحاضر . فمن مشكلة مراكش نقول ان الامر قد انقضى والحمد لله (؟ !) ولكن الجرح لم يلتئم بعد واذا التأم فعلى دغل وهذا ماحدا بالحزب المعارض في انكلترا الى رفع عقيرته بالاحتجاج على سياسة بلاده الخارجية وفي عرض الكلام عن تلك السياسة فضح اسراراً سياسية هائلة وانذر الامة بسوء العقبى فقال ما ملخصه حسماورد في العددين الاخيرين لمجلة القرن التاسع عشر الشهيرة :-

«ان الخطة التي اتبعها السر ادوارد غراي ناظر خارجية انكلترة هي خطة عوجاء سوف تجرنا الى حرب طاحنة مع المانيا . وبامكاننا اجتناب هذه الحرب بسهولة تامة . واللوم في ذلك على سفيرنا في باريز الذي أصبح يبغض الالمان وينفذ غايات بعض ذوي الاغراض الشخصية في نفس الوزارة الخارجية عندنا . ومن سوء الطالع ان وزير خارجيتنا أخذ يصغى لهم غيرحاسب للعواقب حسابا . ففي شهر يوليو (تموز) سنة ٩١١ اجتزنا ازمة هائلة لاتاكنا على وشك الحرب مع المانية . ولماذا ؟ ارضاء لخاطر سفيرنا في باريز ليس الا

«فما هي المنافع التي تعود علينا اذا اشتبكنا بحرب بسبب مسألة مراكش ؟ لاشيء مطلقاً . فاننا اذا خسرنا فالويل لنا . واذا ربحنا ففرنسة وحدها هي التي تغنم تلك الارباح . ولا ندري هل بقاء هذا التفاهم الودي مع فرنسة نافع لنا أم ضار — ونحن الى ما قبل سبع سنين فقط كنا نجهر على رؤوس الاشهاد ببغض فرنسة واحتقار كل شيء فرنسي . اما الآن فصرنا اصدقاء ! وكذا قد صرنا اصدقاء الروس ايضاً ،

فياللعجب كيف سعينا جهدنا نحق الروس في حربهم مع اليابان ؟ (ولطالما كرر الإنكليز هذا الاعتراف الصريح في السنين الاخيرة) وما زلنا نسعى لنضع حواجز في سبيل تقدمهم الاستعماري . وكيف يعقل ان فرنسة وروسية تخلصان لنا الود وهما لم تنسيا بعد مساعينا الهائلة ضدهما ؟ . فلو كانت الحرب قد نشبت في شهر تموز الماضي بين المانية وفرنسة بشأن مشكل أقادير (الفدير) وكانت انكلترا قد انجزت وعدها فنزلت الى ميدان القتال مناصرة لصديقتها فرنسة فمن كان يضمن لنا بقاء اصحابنا مخلصين لنا ؟ او ما هي المنافع التي نجتنيها من حرب كهذه لا ناقة لنا فيها ولا جمل ؟ —

الاتفاقات السرية

« ان السر ادوارد غراي في خطبته الرسمية التي القاها في مجلس البارلمان في ٢٧ اكتوبر (ت ٢) المنصرم جهر بصراحة تامة قائلا انه استدعى اليه سفير المانية وصرح له باستعداد انكلترة لمناصرة فرنسة مناصرة نهاية اذا لزم الامر، وسبب ذلك حسب علمنا اليوم اتفاق سري أبرم في شهر ٨ إبريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ ! ومن يعلم مضمون ذلك الاتفاق ؟ ولكن دلت الحوادث على ان فرنسة وانكلترة وضعتا امامهما يومئذ البحر المتوسط فقالتا هكذا : —

« مصر للانكليز من دون معارضة . ومراكش لفرنسة مع السماح لاسبانية بالثغور الشمالية وقطعة من الداخلية ضرورية لتلك الثغور . طرابلس الغرب لايطالية لقاء سكوتها عن هذا الاتفاق (وربما كان لقاء سلخها من المحالفة الثلاثية) وها ان الاميرال فرمانتل قد نشر مقالة في مجلة البحرية البريطانية مضمونها انه لم يعد ذلك الاتفاق سرا . فان كل رجال الحكومة الانكليزية وقفوا على مضمونه . ولكن الصحافة الانكليزية سكتت سكوتا تاما عن هذا الاتفاق فلم تشر اليه ولا بكلمة . ونحن مدينون لجريدة الطان الفرنسية التي نضحت هذه الاسرار ومثلها جريدة « لهجورنال » الفرنسية أيضاً التي اسهبت في الكلام على تلك الاتفاقات السرية التي نحن بصددها الآن . وكل ذلك نشر في صحافة باريز بالشهرين الفائتين (اي ديسمبر ك ١ ويناير ك ٢) والامة البريطانية لاتدري من هذه الاتفاقات السرية شيئا بفضل سكوت صحافتها التي تطيع كل ايماز من دار نظارة الخارجية

« ليس ذلك فقط بل ان في جريدة الطان بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر (ت ٢) الفائت تصريح هائل بحصله ابرام اتفاق حربي بيننا وبين الفرنسيين في سنة ١٩٠٥

اولا تم في ١٩٠٨ ثانياً واخيراً في سنة ١٩١١ وحسب شروط تلك الاتفاقات الحربية ان على انكلترة انزال ١٥٠ الف جندي من جيشها البري في بلجيكا حال نشوب حرب بين المانية وفرنسة فضلا عن وجوب تحريك الاساطيل البريطانية حالا. وهذه القوة الهائلة التي استمدتها فرنسة من تلك المعاهدات الحربية السرية هي التي جعلتها تستأسد في مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ حينما أرت المانية ان روسية وايطالية والولايات المتحدة وانكلترة هنّ في جانبها . وفي العام الفائت أيضاً لما احتدم الخلاف بسبب مسألة اقادير (اغدير) كانت فرنسة تظهر من الحزم والعناد شيئا كثيراً . ولما قيل لها : وكيف نوفق بين مطامعك الآن في مراكش وبين تعهداتك في مؤتمر الجزيرة بحفظ استقلال تلك السلطنة المغربية ؟ كانت تراوغ في الجواب وتقول : هكذا اريد (!) وان يدي يجب ان تكون مطلقة التصرف في مراكش (؟ !)

« وبكلمة اوضح نقول ان المؤتمرات الدولية اصبحت من دون اعتبار ولا قيمة . لان الاتفاقات السرية تفسدها (١) والمعاهدات الحربية تهدد من يرفع صوته باشهار الحرب في اقل من لمح البصر . وهل يليق هذا بشعب راقٍ مثل الشعب الانكليزي الذي يرسل نوابه الى تلك المؤتمرات والذي يضرب المثل بمحافظته على كلامه ووعوده فيقال في اوربة « كلمة انكليزية » و « موعد انكليزي » اي صادق ومضبوط ؟ . واما مسألة العجم ومسألة طرابلس الغرب ؟ فما ذنب العجم ياترى حتى تتركها تتألم ؟ لا ذنب لتلك المملكة الشرقية سوى كونها ضعيفة . هذا هو الحق الصراح . وما ذنب تركيا في مشكلة طرابلس الغرب ؟ ان مؤتمر برلين يقول بحفظ سلامة تركية . ولكن الاتفاق السري المبرم بين انكلترة وفرنسة واسبانية وايطالية على البحر المتوسط يناقض قرار مؤتمر برلين . ومن يجسر على الاحتجاج ؟ لا احد . فان دون الاحتجاج اعلان حروب واحتلال ممالك وولايات وإمارات . والويل للضعيف الذي لا يقدر على الدفاع عن حقوقه بقوته الوحشية (٢)

« قد رأينا الشعوب الاوربية وفي مقدمتها الشعب الفرنسي مذهولة امام هذه الحقائق المتناقضة فالفرنسيون هاجوا وماجوا لما دروا ان اسبانية زحفت الى ما وراء الثغور المراكشية وطلبوا من وزارة كايو الحزم ازاء هذا الزحف والمسيو

(١) ليعتبر الذين يؤلهون اوربة ويقدسون كل تمدنية لها وليعلموا انهم اذا تعطل احساسهم قد في مقدسيهم من لم تعمه الاغراض عن التصريح بالحقائق « والفضل ماشهدت به الاعداء » راجع مقالات المسألة الشرقية في المنار في المجلد الرابع عشر (٢) راجع مقالات المسألة الشرقية ايضا

صالح مخلص رضا

كايو المعروف « ببرودة الدم » والحزم والذكاء النادر المثال وقف حيران لا يدري ماذا يفعل . فالاتفاقات السرية غلت يديه عن العمل كما انها غلت يدي زميله ناظر الخارجية المسيو دي سلف ولا بد من سقوط وزارة كايو (*) لهذا السبب المهم .
واهل اوربا ينظرون الى تركية الآن بعين العطف والشفقة لانها مظلومة ومعتدى عليها (١) ولكن الحكومات المرتبطة مع ايطالية بمعاهدات سرية تخالف اميال شعوبها وتقول للناس : ان المؤتمرات الدولية وحقوق الامم ليست سوى حبر على ورق .
وها اننا الآن في زمن نرى به الروس يزيدون في قوات أساطيلهم زيادة فاحشة .
والاسبان يفعلون كذلك تحت مراقبة وزارة البحرية الانكليزية ذاتها . وبذات الوقت علمنا ان المانية قررت زيادة عدد جيوشها واعادة تنظيم فيالقها كما انها قررت زيادة مدرعاتها في السنين المقبلة زيادة مضطردة . وعلى نبهاء الانكليز ان يفقهوا حرج الحال فيوقفوا وزارة خارجيتهم عند حدها حتى لا تعود تتمادى بعقد معاهدات حربية وسرية لان الحروب لا تلائمنا مطلقاً ، وكيف تلائمنا ونحن أمة تجارية وصناعية ? . اه

(*) قد سقطت وزارة كايو بعد نشر هذه المقالة بقليل — الافكار

(١) يؤيد قول الكاتب ما كنا نسمعه ونقرأه من ان الدول منعن ايطالية عن ضرب الثغور العثمانية الآمنة مع محاولتها ذلك مرارا وما كتبته « جريدة الشرق الانكليزية » وخلاصته «ان سلوك الدول في الحرب الحاضرة مع ايطالية حملها على الاحتجاج عليهن اذ لم يضغطن على تركية ويلجئنها الى ترك الحرب ولم يسمحن لها بتوسيع الحركات البحرية في الثغور العثمانية لتضطر هي نفسها تركية لقبول شروطها

ثم قالت الجريدة المذكورة ماحصله : انه كان على ايطالية ان تتروى اولا بحرج الموقف قبل سوق القوى الحربية الى طرابلس الغرب . وان الاجدر بها ان تشكر الدول على مخالفتهن معاهدة برلين التي تلزمهن بضمان سلامة املاك تركية وان تخص منهن دولة بريطانيا لانها زادت على نقض معاهدة برلين بأن حالت دون مرور النجدات العثمانية في أرض مصر التي هي بلاد عثمانية تحت سيادة السلطان العثماني

ثم قالت : على انه لو تسنى لتركية سوق قواتها بطريق مصر لكان الفوز النهائي بجانبها ولوضعت الحرب اوزارها . اه (أي وكان في هذا أعظم خدمة للانسانية من جهة وللمحاربين من جهة أخرى اذ يقف كل عند حده ويعرف مقامه ويلتفت الى اصلاح شأنه

وتقول ان الحركات الاخيرة التي ابدتها ايطالية من ضرب بيروت وبعض ثغور اليمن تدل على ان الدول سمحن لها بأن تعيث في بلاد الدولة ماشاءت وان تجوس خلال الديار العثمانية ان قدرت فتعين عليها ان تزيد في شكر دول المدنية ! وانصار الانسانية ! وان تسبح بحمدهن وتمجد لعظمتهن ! ولا بد ان تجرأ على ضرب الجزر والثغور في بحر سفيد بعد ذلك صالح مخلص رضا

ثم أتبعت « الافكار » المقال بما يأتي :

﴿ في مجلس الشيوخ الفرنساوي ﴾

ونحن نكتب هذه السطور وردتنا التيمس الصادرة بتاريخ ٨ مارس (اذار) الجاري وفيهامما له علاقة بهذا الصدد الكلام الآتي عن فرنسة : —

« اشتغلت ندوة النواب بالبحث في الاتفاقيات السرية نخطب المسيو يو منتقداً تلك المادة في الدستور التي تمنح رئيس الجمهورية وحده الحق في عقد معاهدات سرية مع دول اجنبية واقترح تأليف مجلس شورى مؤلف من ستة اعضاء من الندوة وثلاثة آخرين من مجلس الشيوخ يستشيرهم رئيس الجمهورية في مثل تلك الظروف وهؤلاء التسعة يمثلون رأي الامة ويمنعون رئيس الجمهورية من الشطط . ولكن وزير الخارجية رفض هذا الاقتراح وقال ان الوزارة لاتقدر ان تتقيد هي أو تقيد رئيس الجمهورية بشرط كهذا لان أحوال السياسة الخارجية تجبر الحكومة على ابقاء ذلك الحق في عقد اتفاقيات سرية بيد الرئيس وحده . وللرئيس ملء الحرية في اشهار مواد الاتفاقيات أوحفظها مكتومة طبقاً لاحكام الظروف . وتاجلت المناقشة في هذا الموضوع لوقت آخر »

التقريظ والانتقاد (*)

﴿ كتاب البنين ﴾

(تأليف بول دوم ، وتعريب عبد الغني العريسي)

تمهيد

توجد في غريزة الانسان والحيوان عاطفة الحنو والرفق بصغار النسل ماوجدت الحاجة اليها ، وكلما اشتد ساعد الوليد اشتداداً يمكنه من الاعتماد على نفسه نقص من تلك العاطفة بقدر ذلك النمو حتى اذا مابلغ الوليد اشده واستغنى عن معونة والديه باستعداده للقيام بشؤونه انفصل عنهما واتخذ لنفسه منهجا يسلكه في حياته معتمداً على

(*) ما يكتب في هذا الباب بهذا الجزء انما هو بقلم السيد صالح مخلص رضا

نفسه محافظاً على ذريته بمثل ماحوفظ عليه ، وعلى هذه السنة تسلسلت أنواع الحيوان وعقبت وكثرت وملأت البر والبحر .

كذلك نرى في طبيعة النبات وتركيب جسمه من المواد المختلفة الطعم والخاصية لقتل الهوام والحشرات التي تسطو على ازهاره وبزوره وتحاول استئصال نوعه — ومن الالياف والاشواك والحراشيف والزغب والحمل مايمنع هجوم الطير والحشرات عن تلك البزور والازهار ويخفف وطأة فواعل الطبيعة عنها — وبهذا حفظت أنواع النبات التي نراها وننتفع بها الى اليوم

حب البقاء موجود في غريزة كل كائن ومساور لطبيعة كل موجود واذ لم يمكن بقاء الذات فقد امكن بقاء النوع بحكم الغريزة لايعمل بعمله المخلوق مختارا

هذا هو المشاهد في هذه الكائنات الواقعة تحت حواسنا بحكم طبيعتها ، ولكن المخلوق العجيب (الانسان) ابى الا مساعدة الطبيعة فكون البيوت (العائلات) في العصور الخالية واختص كل بزوج يكونءونا له على اتعابها وتسلسلها — هذا هو مبدأ تكون العائلات واتخاذ الوطن لها بالطبع

ثم لما كان لابد لكل عمل من روح مدبرة حافظة كيانه توجهت النفوس للعبادة بالهام حرك بماهو مغروس في الجبلة من الخضوع لقوة هي فوق القوى ووراء عالم الحس — ولما كانت تلك القوة لم تظهر له الا باثارها ولم تكن قد استعدت عقول البشر للبحث فيما وراء الحس أو تعقل ماليس يدرك بالحواس الظاهرة — اتخذت كل عائلة معبوداً لها تلتف حوله ويكون مظهر خضوعها لتلك السلطة غير المدركة وهذا هو مبدأ تكون الاديان

فيظهر من هذا ان الدين والوطن هما كالروح والجسم في كيان المجتمع الذي هو البيوت لاحياة كاملة لاحدهما بدون الآخر وبهذا يجلى معنى « حب الوطن من الايمان »

الحب للذروجية انفرد بالتمتع بها الانسان عن أنواع تشاركه في الحيوانية (١) وهو قوام كل عمل أدبي أو مادي — فهو روح كل فضيلة وملاكها . ولذلك قال بعضهم وقد سأله تلاميذه عن حقيقة الله تعالى — وقد عجز عن ان يحده — : الله محبة هو :

حب الانسان للبقاء هو الذي أوجد له أسبابه ، وهيأ له طلابه ، فتعاقب وتناسل ولكنه لما لم يكن قد توغل في الحياة العقلية — كما مر — ما كان له ان يقدر الفضيلة

(١) ان ميل بعض الحيوان لبعض أو للانسان أو للبيئة لايعد مما نريده من معنى الحب ولا يخرج عن الفة بعض العناصر الى البعض الآخر في تكوين أشخاص الموجودات

قدرها ولا ان يعرف معنى لمقابلة الاحسان بالاحسان ـ الذي هو ثمرة أدبية مهبطها السماء ومقرها قلب الانسان بعد استعداده لتلقيها ـ

كان الانسان معما هو مفروس فيه من الاستعداد للكمال النفسي اشبه بمادي محض ـ لذلك لم يخاطبه المصلحون من الانبياء والحكماء الا بما استعد لفهمه والعمل به ، ولما كانت المحافظة على البيت (العائلة) هي التي يتجلى فيها حب الوطن ، ولا قوام لها الا بنبل الاخلاق ـ واجلى تلك المظاهر انما هو الرابطة الحبية الموجودة بين الوالدين وأولادهم ـ وكان الانسان الى انتشار أعم دين قبل دين الاسلام لا يعلم شيئا أعظم لديه من حب البقاء على وجه هذا البسيط ـ قالت له التوراة « اكرم أباك وأمك لتطول ايامك على الارض » وهذه الوصية هي أعظم أساس لما يتلوها مما هو أعلى منها واسمى في دين عمومي يأتي بعد ذلك (دين الاسلام) حيث يقول الله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها ـ الخ الآيات وقوله ـ « ان اشكر لي ولوالديك اليك المصير ، وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي » الخ الآية

اوضحت الاديان سابقها ولاحقها طرق التربية بحسب الزمان والمكان، واستعداد الانسان، ـ وكلها كانت توطئة لذلك الدين العمومي الذي هو دين الفطرة وخاتمة الاديان، فجاء الناس بواضح التبيان ، وشرع لهم طريق التربية ووضع لهم اساس الرقي الادبي على أوثق بنيان، ولم يدع من فضيلة الا نهج مهايعها ، واوضح سبلها . وبعث نبيه ليتمم مكارم الاخلاق، فادب الناس بالتربية العملية . وعندما جاء دور تدوين الكتب وتحديد المسائل العملية كتب علماء الاسلام في التربية والاخلاق ما لم يغادروا بعده صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها، ونشأ في الامة رجال هم مثال الفضيلة وعنوان الكمال النفسي، ثم خلف من بعدهم خلف تنكبوا طريقتهم، وخالفوا سيرهم فتقطعت بهم الاسباب — اسباب الرقي والسير الى ذروات الكمال الممكن للانسان نواله ـ ولم يبق من تلك الكتب وسيرة مؤلفيها الا الدماء، فتأخر المسلمون وتأخر بتأخرهم الشرق، وهب الغرب من سباته بما ازعجه من حركة الاسلام التي قلبت وجه البسيطة ودكت عروش الجبابرة وفتحت للعقل طرقا يسير فيها الى نوال المنافع الدنيوية والاخروية ـ هب هبوب المذعور واخذ يتلمس الاسباب الى الخروج من تلك الظلمات التي وقفت به حينا من الدهر بين الانسان المطلق والحيوان الاعجم — حتى كاد ان يكون هو الحلقة المفقودة كما يقولون — وعكف على الدراسة وقرن العلم بالعمل فأخذ حظه من التربية المادية وفوق حظه

ونال قسطامن الرقي الادبي . واصبحنا بحاجـة الى تتبع حركاته ، وتأثر خطواته ، ونقل صناعة وترجمة مؤلفاته ، ولكن تخدري الاعصاب معطل الشعور منا لاهون عما نحن في اشد الحاجة اليـه — اللهم الا افراداً منا تنبهوا أو نبهوا لتعريب شيء من الكتب النافعة في التربية البيتية (العائلية)والقومية(الاجتماعية)مثل كتاب (التربية الاستقلالية)أو اميل القرن التاسع عشروكتاب «سر تقدم الانكليز السكسونيين» واصول الشرائع لبنتام ومونتسكيو وروح الاجتماع وروح الاقوام والدولة والجماعة وغيرها. ولكن بقيت الحاجة ماسة الى تعريب شيء من كتب الاخلاق فسد هذه الخلة عبد الغني افندي العريسي (احد صاحبي جريدة « المفيد » بتعريب كتاب البنين)

الكتاب

يوجد في اطواء كتاب « البنين » اربعة ابواب (١ ـ الرجل ، ٢ ـ البيت أو الاسرة (العائلة) ، ٣ ـ ابن الوطن ، ٤ ـ الوطن)وقد تفصلت في ثمانية وعشرين فصلاً ، تسطر في غضونها من الحكم العملية التي تنشأ عن اعمال الروية ما يدل على علو همة المؤلف وكبر نفسه ، وقوة ارادته ، ووفرة تجاربه . ولو كانت الحكمة وحدها كافية لتقويم الاخلاق وتربية الارادة لضمنت لك بانها تخرج الحي من الميت وتوجد — حتى بين ظهرانينا — رجالا خيار الاداوتا التي جمالتناحر ضا، وكادت تقضي على هذا الذماء الذي بقي لنا من الثروة والاستقلال بانشغال الامم الحية عنا ، واول فصل من فصول الكتاب هو

الارادة والملكة

الارادة : — قصدك الى شيء تعمله بعزيمة ونفاذ ، وقوة الارادة هي الدأب بثبات لاهوادة فيـه على تحقيق ما عزمت عليه « ولا يتم ملاك ذلك بالرغبة ، بل بالهمة والارادة والقوة والامرة على النفس » (كما قال المؤلف)

يقال : فلان حسن الارادة، كما يقال : فلان سيء الارادة ، وحسن الارادة ان توجه النفس لتقويم ما اعوج من الملكات ، وما ازور من الاخلاق ، فتنكب بصاحبه سبل الهداية وصراط الصواب ، وسوء الارادة هو سوق الهمة الى ما يحط من قدر صاحبها وينزل بهالى مهاوي الضلال ، وحفر الدمار ، « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات »

ابتدأ المؤلف هذا الفصل بالكلام على الارادة وابتدأ الفصل الذي يليه بالكلام على عمل

الواجب فجعلهما المبدأين الذين تدور على محورهما جميع مبادىء الحياة الطيبة، ولا مشاحة بان من ارتقت به همته الى الاحساس بعمل الواجب وكان ذا ارادة قوية، واخلاق قويمة، وعقل رصين، ورأي حصيف، دمثاً هينا لينا فقد انتهى الى باب الحياة الطيبة، والعيشة الراضية، إن لم يدخله اليوم نغدا، واذا كان من المتسلحين بسلاح العلم وقوة اليقين فقد خلص من اوشاب هذه الحياة الى السعادة فكان قرة عين لذويه وامته، باعثاً روح حياة جديدة في قومه، وبمثل هذا تنهض الامم وتحيا بعد موتها (للمقال بقية)

***

﴿ البرهان ﴾

جريدة نصف اسبوعية سياسية يصدرها في طرابلس الشام الشيخ عبد القادر المغربي الشهير- غرضها تأييد جمعية الاتحاد والترقي في المملكة العثمانية ومناواة من عداها وقيمة اشتراكها ريالين مجيديين ونصف في البلاد العثمانية . و١٣ فرنكا في جميع الممالك

***

﴿ البيان ﴾

« مجلة دينية علمية عمرانية تاريخية ادبية لمنشئها الشيخ مصطفى وهيب البارودي من علماء طرابلس الشام ومديرها المسئول جميل افندي عدره »

تبحث في بعض تفسير آي القرآن الكريم، وفي الاخلاق والآداب والتاريخ ولكنها دينية في كل مواضيعها ومباحثها

وسعة اطلاع منشئها وغيرته الدينية يكفلان نجاحها والانتفاع بها سيما والبلاد الشامية في حاجة لمثل هذه المجلة اذ لا يوجد فيها مجلة دينية اسلامية، وهذه نبذة من العدد الاول منها وبودنا لو اقتصر على نعتها بالدينية فقط لكان ادعى لانطباق الاسم على المسمى

(الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(ولتكن منكم أمة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك هم المفلحون)
قرآن كريم

لا بد للانسان من رابطة تربطه ببني نوعه تكون فيها المصلحة العامة وينقاد لها بحكم النفس وهذه لا تتم الا بنظام كلي تعلم النفس انه جاء لاجل سعادتها وهناء عيشتها ممن أوجدها وتصرف فيها بقدرته وهو الاعلم بصالحها فتذعن له وتلقي زمامها اليه،

وحيث حصل لها هذا النظام وتمت منه المصلحة فلا بد أن يصحبه مذكر دائم وواعظ مستمر يهديها الى قصد السبيل وجادة المحجة لان الانسان موضع للسهو ومحل للنسيان ومورد للاهواء والشهوات التي باتباعها يدخل الخلل ويقع الفساد فمن ذلك أوجب تعالى أن لا يخلو زمان من طائفة صلحت افهامهم وصدقت عزائمهم وعرفوا أجناس الخير وأحاطوا به علما وميزوا أنواعه من الشرور المشتبهة به تكون وظيفتهم دعاء الناس للخير وصرفهم عن ناحية الشر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتلاحظهم في جميع حركاتهم لترد الجاهل منهم وتذكر الغافل فيهم فلا نلبث الا وقد ساد شأن الناس بحصولهم على ثمرات ذلك النظام الذي فيه المصلحة العامة وحصلت الرابطة الحقة ثم يسري القبول الى النظامات الجزئية والمصالح الخاصية وأولى شيء من الخير بالتقديم في الدعوة هو اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكنات وفي هذا الخير كله ولذلك فسره بعضهم بالاسلام ويقويه « قل هذا سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » (١) ثم الامر بالمعروف لما فيه من الترغيب على فعل ما ينبغي . ثم النهي عن المنكر لما فيه من الترهيب مما لا ينبغي فالآية الشريفة أوجبت هذه الاشياء الثلاثة على المسلمين لتنتظم لهم سعادة الدنيا والآخرة وأمرت بوجود طائفة منهم تفرغ أنفسها لتحصيل الطريق السهل سلوكا في الناس فيمتثلون ما أمروا به ويجتنبون عما نهوا عنه بعد احاطتهم بالعلم النافع والضار في هذا الطريق والعلم بالمتجددات الزمانية لتكون أعمال تلك الطائفة مطابقة للحكمة فتنجح في قصدها وتبلغ بالناس سبيل رشدها . اه

وصفحات المجلة ٣٢ صفحة بقطع المنار وتصدر في طرابلس الشام في الشهر مرة واحدة وقيمة الاشتراك فيها ثمن ريال مجيدي واحد وفي عموم المملكة العثمانية ريال وربع ريال و٧ فرنكات في سائر الممالك

***

﴿ تاريخ حرب فرنسة والمانية ﴾

من الكتب التاريخية ما يقرأ لمجرد الفكاهة واللذة ومنها ما يقرأ للعظة والاعتبار والانتفاع بقصص الماضين وانباء السابقين ، وكتاب (تاريخ حرب فرنسة والمانية)

(١) ليست الدعوة الى الله تعالى بالدعوة الى مسمى علم التوحيد أو الكلام وانما الدعوة الى الله هي تلك الطريقة التي سنها القرآن وسار النبي (ص) ومن تبعه عليها وفيها من اثبات عظمة الله تعالى وقدرته الخ مالا يوجد في تلك العلوم

الذي كتبه المؤرخ الشهير جرجي افندي زيدان صاحب مجلة المباحث المعروف من قراء العربية بعلمه وابحاثه فيه من العبر والحكم مايفيد العظة ويبعث العبرة ، سيما وان هذه الحرب كانت خاتمة تاريخ وفاتحة تاريخ آخر في أوربة

وقد استخلصه من مجلة الجنان يوسف توما افندي البستاني باذن من الكاتب وطبعه على حدته فجاء كتابا حافلا تبلغ صفحاته ٢١٥ صفحة مزينا برسوم قواد ورجال هذه الحرب ،وجعل ثمنه عشرة قروش صحيحة عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز ومن طابعه

وكنا نتمنى أن يعرض الكتاب على المؤلف قبل الطبع فقد جاء فيه أغلاط كثيرة منها ما هو بديهي متسامح فيه ومنها مالا يغتفر على انه قلما يخلو كتاب من غلط

***

(البصائر)

مجلة علمية فنية اجتماعية لمنشئها ومحررها جميل بك العظم تصدر في بيروت مرة واحدة في الشهر . ولمنشئها شغف بالعلم وميل الى البحث والتدقيق فالمرجو ان ينفع الامة بمجلته ، واليك فهرس الجزء الثاني منها:التربية، تنازع البقاء ، البدع ، السكوت على المنكرات ، التجارة ـ تاريخها ومبدأها ، الخط والخطاطون ، خواطر وسوانح ، مسألتان ، المثمن والمربع ، وصف حكيم للبلاد . ثم التقريظ والانتقاد

ولعلي أوفق لمطالعتها واقتباس شيء منها وهي مطبوعة على ورق نظيف وتبلغ صفحاتها ٤٠ صفحة بقطع المنار وقيمة الاشتراك فيها ريال ونصف ريال مجيدي في بيروت وريالان في الجهات

***

﴿ الدولة والجماعة ﴾

رسالة في علم الاجتماع البشري تأليف احمد شعيب بك الكاتب الاجتماعي العثماني وقد عربها محب الدين افندي الخطيب المحرر بجريدة المؤيد وطبعها فجاءت صفحاتها ٦٧ بقطع تفسير سورة الفاتحة ومشكلات القرآن

والرسالة مصدرة بمقدمة لرفيق بك العظم تبحث في « علم الجماعة في الشرق » وناهيك برفيق بك العظم اذا اطلق لقلمه العنان في المباحث التاريخية والاجتماعية ،

ويليها مقدمة أخرى للمعرب في ترجمة « الاستاذ احمد شعيب والحالة العلمية والاجتماعية في القسطنطينية » ولولم تشتمل هذه الرسالة الا على هاتين المقدمتين لكانت جديرة بالاهتمام، كبيرة الفائدة في هذا العلم ولان تكون موضوع رغبة الراغبين خصوصا مع قلة الكاتبين منا في هذا العلم الذي هو زبدة العلوم وما ذاك الا لقلة المستعدين بعلمهم وتجاربهم واخلاصهم لخوض غماره ، ونكتفي الآن بكتابة مجمل مواضيعها وهي

الفرد والجماعة، نظام الامة وأوضاعها ، لا طفرة في الارتقاء ، نشأة الدول ، الفطرة البشرية ، تأثير الاقليم في تكوين الدول ، سبب وجود الجماعات ، سلطة الفرد ، تأثير الحرب والصناعة والسلطة الدينية في تعيين شكل الحكومات ، الحكومة السياسية وتأثير التضامن في تكوين الامة ، حياة الجماعة ، توزيع الوظائف ، الاجهزة الحيوية في الدولة ، سنن الاجتماع في المحافظة والتجديد ، جمود الامم ، اهتداء الانسان الى مركز التوازن ، الارتقاء ، ثم ثورة الالمان على نابليون وايطالية على النمسة . ثم الكلام في طبيعة الثورة وفي الشيوخ والشبان وصعود الآراء الجديدة ودور النهضة وروح الزمان

فنحث التلاميذ والمفكرين على قراءة هذه الرسالة على اختصارها فانها تدل على فكر ثاقب وعقل كبير وعلم غزير وجرأة أدبية . ومن لنا بمثل احمد شعيب الاجتماعي الكبير ونحن في حاجة لامثاله من فلاسفة الاجتماع لتكوين دعائم الامة على اساس ثابت . هذا ويحق لكل عثماني أن يأسف على ذلك الشاب الذي توفي في باكورة عمله وبداية النفع بعلمه الغزير وعقله الكبير

ثمن الرسالة ١٥ مليما وتطلب من مكتبة المنار بمصر واجرة البريد مع التسجيل (السوكارتاه) ٧ مليمات في القطر المصري و ١٢ مليما في الخارج

***

﴿ العلم الكافي ، لطلاب العروض والقوافي ﴾

كتاب يدل اسمه على مسماه وهو مرتب على طريقة السؤال والجواب مما يسهل الفن على طالبه تأليف السيد حسني عبد القادر قاسم كاتب (رواق الشوام) في الازهر المعمور يبلغ عدد صفحاته ١١٩ صفحة بقطع سورة الفاتحة وثمنه خمسة ملاليم ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز واجرة البريد كاجرة رسالة الدولة والجماعة

السيد حسين وصفي رضا

﴿ اقوال الفضلاء فيه ﴾

(١٧)

وكتب المخلص الودود والحر الكريم صاحب الامضاء في سورية

سيدي الاستاذ الجليل

لقد انقض عليّ ذلك الخبر المشئوم انقضاض الصاعقة بل أشد ، فخرت في أمري وضاقت الدنيا في وجهي ، واسود الضياء في عيني ، وانقبض صدري ، وحزن قلبي على ذلك الصديق الحميم الذي كنت أؤمل فيه وأنتظر منه خيراً جزيلا ونفعاً عظيما لهذه الامة المنكودة التي ضلت السبيل فاعتبرت المحسن مسيئا والمسيء محسنا ! !

ضلت هذه الامة السبيل قبدلاً من أن نراها تكافئ رجالها المصلحين العاملين تقدمها ورقيها — بمثل ما تكافئ به الامم الحية رجالها — فانا نراها تجني عليهم بمثل تلك الجناية الفظيعة ! !

رأت الامة رشيدها ومرشدها يواصل ليله بنهاره سعياً وراء ما يرقيها ويسعدها في حالها ومستقبلها — فكافأته بهذه المكافأة العالية ايذاناً بفضله وتنشيطاً له وترغيباً لتلاميذه ومريديه والسائرين على سننه

فأنعم وأكرم بأمتنا الحكيمة التي تعرف كيف تكافئ رجالها ومصلحيها ! !

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، انا لله وانا اليه راجعون

هذا واني أتقدم الى أستاذي وجميع أشقائه وسائر أفراد بيته الكريم ، بواجب العزاء كما عزيت نفسي على تلك الكارثة العظمى التي تذكر فتؤثر في الفؤاد أيما تأثير . أسأل الله تعالى أن يطيل في عمره ، ويجعل هذا المصاب الاليم خاتمة أحزاننا — انه سميع مجيب

سليم أباظه

(١٨)

وكتب الاديب النبيل أحد فضلاء الشبيبة العربية في سورية الشيخ نسيب افندي الخطيب

سيدي العلامة الاستاذ السيد رشيد رضا أطال الله عمره

لست أملك من بحر الصبر وشالا ، ولا من قطره ثمداً ، فكيف تنزع نفسي الى العزاء ، وتدفع داء الحزن وليس له دواء ، فان نبأ اغتيال الحبيب السيد حسين وصفي حل عرى الجلد وخلفنا عرضا تنتقل فيه طوارق الدهر وبوائق الايام ، فشلت تلك اليد الاثيمة التي قصفت غصن شبابه قبل الاوان ، ولم تخش عاقبة القتل وعقاب الديان ، ولعمري لا أدري من أعزي ، أأعزيكم أم أعزي نفسي ، أم اخوانه وأصدقائه ؟ لا بل أعزي الامة العربية بأسرها ، ولغتها التي بعده سياتي حبلها على غاربها ، وتستعصي أصولها على طالبها ، فقد كان رحمه الله مطمح الابصار ومرمى الاماني ولكن ستحتفظ له بطون المهارق ذكراً لا يمحوه كر الغداة ولا مر العشي وسيبقى اسمه لدى الكتاب مقدساً ما استن اليراع في حلبة الطروس ، وأحيا معالم اللغة بعد الدروس ، وأوردنا مشرعة التأسي بعده فانه قد نشط من عقاله الارضي ، وتبوأ منزله العلوي ، فهنيئاً له بما أوتي وعزاء لنا بما نالنا وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

الداعي
نسيب الخطيب

(١٩)

وكتب العالم الفقيه الاصولي سيدي محمد بن راجح بن ابراهيم في الايالة التونسية

الحمد لله المنفرد بالبقاء ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء ، وآله وأصحابه الاتقياء

(لا إله الا الله ، ما شاء الله ، لا قوة الا بالله ، إنا لله وإنا اليه راجعون)

الى حضرة الاستاذ الكامل ، والمرشد النصوح ، حجة الاسلام ، وعنوان التربية الصالحة ، والقدوة الحسنة ، أمتع الله الاسلام بطول بقائه ، أقدم جميل تعزيتي عن ذلك المصاب الاليم ، والخطب الجسيم ، ألا وهو انضواء غصن الكمال ، وأفول بدر المجد بوفاة الشقيق والمجاهد في اعلاء كلمة الله ونصرة الحق وازهاق الباطل الكاتب النحرير والشاعر الاديب والمصلح الناصح الشريف التقي ، السيد حسين وصفي رضا ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته — أنبأني هذا النبأ المحزن

صديقي الاستاذ النيفر فكان أشد على قلبي يعلم الله من كل مصاب ، فاشتمل الحزن علي وانطلق لساني بذم الزمان الخئون الغادر ومما كسته الاسلام حتى بالفتك بمن يدأب وراء ازاحة ما تكاثف حوله من الظلمات فاني أعلم ما للفقيد العزيز في ذلك من الآثار الصالحة واليد البيضاء ويكفي انه شقيق من ينير المنار على العالم الاسلامي وعضده ومساعده في كل أعماله . فرحم الله روحه الطاهرة ، واحسن جزاءه عن الاسلام والمسلمين — ومما زادني لوعة واسفاما أنبأني به هذا الصديق من أن الفقيد قتل رمياً بالرصاص من يد الاشقياء . شلت أيديهم ولعنوا بما فعلوا ، نعم زاد ذلك في الاسف لظني أن ذلك كان جزاء الفقيد عند هؤلاء الاشرار عن جريته وخدمته الحقيقة ونصرته الشريعة الاسلامية . تلك هي ذنوب الفقيد اليهم فيما أظن ، ولكن هذا كان مهونا المصاب على جسامته لاعتقادي أن الله أكرم فقيدنا المجاهد في دينه بمزية الشهادة ومرتبة الشهداء . وتلك منزلة تتفانى فيها أرواح الصالحين والمسلمين الصادقين

فهنيئاً لفقيدنا بهاته الكرامة وطوبى له بما قدمت يداه من الاعمال الصالحة ، وما أبقاه من الذكر الحسن العاطر الخالد على مر الزمان ، فرحمة الله ومغفرته ورضوانه عليك ياحسين ياقتيل الحق ، سلام الله وبركاته عليك ياحسين ياشهيد الاسلام ، لا أعجب من موتك قتيلا لانك تجاهد في سبيل الله وتحارب الالحاد والاستبداد فتلك سنة الله في أجدادك وأسلافك الكرام قتلوا في مشارق الارض ومغاربها لانهم أبناء النبوة والمدافعون عن هيكلها المقدس والذائدون عن حياضها و

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

انك ياحسين ستلاقي عترتك الطاهرة وأسلافك الصالحين فقص عليهم أمرك واشك اليهم قاتليك فانك تقر أعينهم وتقيم لهم الدليل على انك فرع دوحتهم فيستقبلونك بين مظاهر الاجلال والسرور

سيدي الاستاذ . ماذا عساني أن أقوله اليكم وأنت مربي المسلمين ومرشدهم وداعيهم الى الهدى في هذا العصر ، فظني بل يقيني أن الاستاذ كما يرشد الناس بقوله يرشدهم بعمله . فيكون طود الصبر ومثال الصابرين الذين يقول الله تعالى تكريما لهم في كتابه الحكيم « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون* أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » مشاركم في الاسف

محمد راجح بن ابراهيم

٢٠

وكتب الصحافي الحر والكاتب المحقق شكري افندي الخوري صاحب جريدة (ابو الهول)

حضرة المفضال السيد محمد رشيد رضا الانخم

وصلني عدد من جريدة الاقبال البيرونية في هذه الساعة وياليته لم يصل ، فرأيت فيه ما أبكى عيوني ، وصدع فؤادي ، رأيت فيه خبراً هو أن يداً أثيمة اغتالت زهرة شبابنا أخاكم المرحوم والطيب الاثر حسين ، فوقع على قلبي ، وقع الصاعقة ، وجهشت بالبكاء ، ولعنت بلاداً لاحياة فيها ، الا للاكذبة الاسافل ، يقتلون فيها الاحرار ويصارون اصحاب الرأي الصائب

ألا لعنة الله على الاشرار القتلة

ان المصاب الذي أصابكم بفقد أخيكم اصاب كل من عرف فضلكم وفضل الفقيد وهذا الداعي من الذين شاركوكم بالحزن والاسى ، سائلا المولى جل جلاله ، ان يتغمد فقيدنا برحمته ورضوانه ويلهمكم الصبر الجميل على فقدهذه الجوهرة الثمينة . انالله وانا اليه راجعون سان باولو برازيل في ٧ شباط ١٩١٢ الاسيف

شكري الخوري

٢١

وكتب العالم المحقق الشيخ احمد محمد الالفي

تحريرا في ١١ يناير سنة ١٩١٢

حضرة العالم الكبير والفاضل النحرير صديقنا وقدوتنا السيد رشيد رضا الانخم

فوجئنا اليوم بخبر مشئوم رأيناه بالمؤيد ألا وهو وفاة الكريم ابن الكريم سلالة العترة الطاهرة النبوية وأحد رجل القلم والاصلاح ألا وهو شقيقكم المرحوم السيد حسين رضا . مات شهيد الشهامة والمروءة بطرابلس الشام بيد اثيم مجرم لم يرحم شبابه الزكي ولا نظر لاحتياج هذا الوطن الاسيف الى امثال هؤلاء العاملين الاحرار فتعسا لهذا الزمن وبئس ما أعده للصالحين من العدوان ـ فوا أسفا على السيد حسين لقد كان عاملا مجتهداً وأديبا متضلعاً وتقيا ورعا وشابا ذكيا وشريفاً كريما فرحمه الله رحمة

واسعة وعزا كم مع حضرة السيد صالح رضا وكافة اسرتكم الكريمة وعزانا معكم احسن العزاء ورزقنا وايا كم جميل الصبر وعظيم الاجر واقبل في البدء والختام جزيل السلام وعظيم الاحترام م

خادم العلم الشريف

احمد محمد الالفي

المدرس بفاقوس شرقية

(٢٢)

وكتب العالم المؤرخ الشهير جرجي افندي زيدان صاحب (مجلة الهلال)

مصر في ١١ يناير سنة ٩١٢

صديقي الشيخ رشيد

اكتب هذا الكتاب على اثر قراءتي نعي المرحوم شقيقكم في الجرائد ولم أكن عالما بتقدمات هذه الفاجعة فكان لذلك النعي وقع شديد على قلبي، لانه كان رحمه الله من نخبة الادباء ويرجى ان يكون لك فيه عون في الخدمة العامة التي أوقفت نفسك لها وقد ظهرت تباشير ذلك بما ظهر من أدبه ، وفضله وذكائه ، وعلو همته . ففقده خسارة على الوطن وصدمة قوية على قلب شقيقه وسائر آله وذويه ، فلا غرو اذا بكيتموه ورثيتموه فانه جدير بذلك واتقدم اليك ان تتأكد مشاركتي لك في الاسف على هذا المصاب ولاحيلة لنا غير التمسك بحبل الصبر وانت اعقل من ان يكتب اليك بأسباب التعزية لانك حكيم عالم بمصير الانسان طالت حياته أو قصرت أجمل الله عزاؤك ورحم الفقيد رحمة واسعة

صديقك

جرجي زيدان

(٢٣)

وكتب الفاضل الوجيه صديق الفقيد محمد فؤاد افندي محمود

سيدي الاستاذ المحترم   ألهمه الله الصبر الجميل

لقد وقع خبر موت حسين علي وقع الصاعقة فلا أدري ماذا أقول وماذا أريد ذهل منا العقل ، وطار اللب ، وانفطر القلب ، واحترق الفؤاد ، فاللهم صبرا اني أبكيه ، وأ بكي معه آدابا جمة ، وأخلاقا فاضلة ، وروحاطاهرة ، عرفته حسن

المعاشرة ، لطيف المحاضرة ، فانا لله وانا اليه راجعون ، راح ذلك الشهم شهيد المروءة والنجدة ، فسلام على روحه الطاهرة ، ورحمة من الله عميمة

ياسيدي الاستاذ ، الناس كلهم واياك في الحزن سواء ، فلقد كان مناحسين مكان الروح . وبفقدها فقدنا كل شيء ، فاللهم أمطر على جثته شآبيب الرحمة والرضوان وروح روحه في روض الجنان

وأنت يا أستاذ لقد عرفناك في الشدائد صبورا ، فكن كما نعهد فيك والله عنده حسن الثواب

أخوك في الحزن

محمد فؤاد محمود

(٢٤)

وكتب الشاب الاديب أحد أعضاء الشبيبة العثمانية وأركان الناشئة السورية الامير احمد هدى الايوبي اللبناني في الاستانة العلية

لحضرة سيدي العلامة الفاضل المحترم أطال الله شريف وجوده آمين

لمن الدمع بعد هذا تصون وعلام الصبر الجميل يكون
كل حزن يحسب كل فقيد وبحسب الاحزان يكي الحزين

تبا لهذه الحياة ، وبئست هذه الدنيا التي هي للهموم أداة ، تسيء اختيارا ، وتوالي اضطرارا ، وتضحك مرة وتبكي مرارا ، لا يخلو يومها من شوائب الاكدار ، ولا ليلها من بوائق الاخطار ، ما المرء بناج من نكباتها ، ولواختار العزلة في رؤوس الجبال ، فان فر من هم فر الى هم ، وان اعتصم من غم فالى غم ، والموت فيها ضار جشع ، ليس له ريّ ولا شبع ، سارق دق جسمه ، ورق عظمه ، يصول بلا كف ويسطو بلا رجل ، لايوقر كبيرا ولا يرحم صغيرا

ليت الحرم لم يخلق ، فكم دهي الاسلام منه بخطب جسيم ، وكرب عظيم ، غال الحسين بن علي ، وثنى بحفيده الحسين بن علي ، فأوقد في القلوب نارا ، وفجر من العيون جداول وأنهارا ، رحم الله السيد الحسين ، جاءني نعيه فعلمت كيف تقوم الساعة ، شيعت الصبر ، وغدوت على مثل الجمر ، غريق الدمع حريق الحسرات ، اذا بكيته فانما أبكي حزماً وعفافا ، وذكاء واقداما ، وأخلاقا حسنة وألطافاً وآدابا اشتهرت

بين الخلق ، وشاباً كان ملء آمال الشرق، ان تبكه سورية الفتاة فانما تبكي ولداً بارا وان يندبه الشيخ لبنان فانما يندب أحد خيرة أبنائه

أيها الراحـل الذي زاده التقـ ـوى الى الله والعفاف هجين
أنت في الترب قد دفنت ولكن ـك طي القلوب شخص دفين
إن تكن نمت نومة الدهر فالنو م علينا قد حرمته الجفون

إنا لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله، ألهم الله قلوب عارفيه الصبر الجميل ، وكان للسيد وآل بيته العمر الطويل ، ووهب لهم السلوان ، وامطر على جدث الفقيد غيث الرحمة والرضوان ، آمين

الاسيف
احمد هدى الايوبي

(٢٥)

وكتب الاديب الفاضل خليل افندي نخول من وجهاء أدباء الكورة في لبنان

سادتي الفضلاء أعزهم الله

ليس من بكى ويبكي الحسين للشباب الغض ، والادب الرائع فقط ، بل وللوفاء في الود ، والاخلاص في الحب والنبالة في القصد ، وهو ما عز وجوده وندر ، في شبيبة هذا العصر ، ومن عرف السيد الحسين واتصل معه باسباب المودة حزن عليه وأسف أسف الاخ على أخيه وعليه فمن كان مثلي — وليس من مجاز باخاءيه الا أن لنا أبوين — عرف مقدار أسفي ووجدي عليه ، ومع ذلك فأراني مقصرا ببقاءي الى الآن ، دون تقديم عبارة العزاء فالله أسأل أن يتغمده بالرحمة والرضوان ، وأن يجعل ببقائكم العوض الكريم ، ويجمل عزاءكم ولا يريكم مكروهاً لمن تحبونه اللهم آمين

شريك الأسف .
خليل نخول

(٢٦)

وكتب الاديب الفاضل صاحب الامضاء

سيدي الاستاذ الجليل

لقد كان لحادثة المرحوم أخيكم تأثير في نفسي فنظمت هذه الابيات للتأبين رحمه الله تعالى ، وأجمل عزاءكم

تعز وأنت الحليم الرشيد ... ولو أن خطب الحسين شديد
فقدناه حراً كريم السجايا ... ففي ذمة الله ذاك الفقيد
لقدكان ذا همة وإباء ... وعزم وبأس كبأس الاسود
رمته يد الغدر في مأمن ... فأودت بركن الرجاء الوطيد
عجيب ! رصاص يفل حديداً ... وكيف يفل الرصاص الحديد
لنا سلوة وله أسوة ... بسبط النبي الحسين الشهيد

المخلص لكم
امين المدرسة السعيدية

(٢٧)

وكتب الاديب صاحب الامضاء مايأتي :

مولاي السيد الامام المصلح السيد محمد رشيد رضا

أخط على الصحائف آيات الاسف من سويداء القلب مقدماً لكم التعزية على فقيد الاصلاح شقيقكم السيد حسين

نعم ان الرزء وقع في شخص ولكنه الحسين كان أمة وحده عند من يعرف قدره ، فالمصاب عظيم، والخطب جسيم، ولكن ماالعمل؟

والموت نقاد على كفه ... جواهر يختار منها الجياد

فأنت أيها الشهيد ابن الشهيد من سار قبلك اجدادك الكرام على هذا السنن فهنيئاً لك فانك نلت فضل الجهاد والشهادة

وعن أولي العزم لقد تناوبوا ... وجدهم فاحتملوها نوبا

كنت خير مشير لمن استشارك وخير هاد لمن استهداك، وخير معين لمن طلب معونتك لا ترد قاصداً ، ولا تصد طالبا ، فمن استشير من بعدك يا أعز الفضلاء أو بمن استرشد يا أوحد النبلاء؟

فالله نسأل أن يلهمنا جميعاً على فقده صبراً جميلا ، وان يعوض هذه الامة المرحومة خيرا عن فقد أعظم ركن من أركان نهضتها الساعين في اصلاحها انه سميع مجيب

تلميذ الفقيد
عبد الغني صبره البيروتي

(ربما أتينا في الجزء القادم على تتمة التعازي وأقوال الجرائد)